الجزء الثالث — المجلد الثالث والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٤٨ — ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٧ .

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٢ —

حرف الباء

البابُوس : ܒܳܒܽܘܨܳܐ bobouço ، طفل ، صبي صغير . قال ابن خالويه هو الصبي ولم يذكره الا ابن احمر في شعره ، وفي التهذيب : البابوس الصبي الرضيع في مهده ، وفي حديث جريج الراهب ، مسح رأس الصبي وقال له : يا بابوس من أبوك ؟ وقيل هو الولد عامة من أي نوع كان ، واختُلف في عربيته فقيل رومية استعملها العرب كما في المجيد ، وقيل عربية كما في التوشيح اه (التاج ٤ : ١٠٥) وصوابه ، لفظة سريانية .

الباحور والباحوراء : ܒܳܚܽܘܪܳܐ bohouro ، غيم صيفي يستدل به على المطر في الشتاء المقبل ، وفي التاج : الباحور والباحوراء كعاشور وعاشوراء شدة الحر في تموز وهو مولّد . وجاء في كلام بعض رجّاز العرب [1] . صوابه معرّب من السريانية .

(١) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي ص ١٥

الباشَق : ܒܘܙܝܩܐ bouziqo قال صاحب الجمهرة ص: ٢٩٣ هذا هو الطائر المعروف احسبه نبطيًا معرّبًا . وقال في القاموس انه معرّب (باشه) كذا . وقال الجواليقي في المعرّب ص ٦٣ انه اعجمي معرّب [1] ـ معرب من السريانية وذكر في سفر اللاويين ١١ : ١٤ « والباشَق بأجناسه » .

باطية : ܒܛܝܬܐ ܒܛܘܬܐ botitho botoutho وعاء للخمر ـ جاء في التاج : الباطية اناء قيل هو معرّب وهو الناجود ، وقال الأزهري الباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون . وورد في الجمهرة ص ٣١١ البِطّة اناء كالقارورة عربية صحيحة احسبها لغة شامية .

الباعوث : ܒܥܘܬܐ booutho كلمة سريانية معناها الطِلبة ، الابتهال ، التضرّع ، وهو في عُرف السريان بضعة أبيات لبعض أئمتهم منظومة على اوزان ثلاثة تُتلى يوميًا في أثناء الصلاة . عرّفها أصحاب اللسان والتاج والقاموس وأقرب الموارد بصلاة الاستسقاء او الاستمطار وهو تعريف ناقص ، لأن الباعوث يكون في صلاة الاستسقاء وفي كشف الغمة عند نزول الآفات ، وفي الأعياد الحافلة كعيد السعانين وكانت العادة أن يُطاف فيه . وفي حديث عُمر لما صالح نصارى الشام كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قليّة (كذا) ولا نخرج سعانينًا ولا باعوثًا . وجاء في كتاب عياض بن غنم لأهل الرقة « ولا يظهروا ناقوسًا ولا باعوثًا ولا صليبًا » البلاذري ص ١٨١ ـ وقال ماري بن سليمان الكلداني في كتاب المجدل ص ١١٨ واجتمع الناس ثلاثة ايام على الباعوث والطلبة بحسن الاختيار . وروى عمرو الطيرهاني في كتابه المجدل ص ٩٨ وعُمل الباعوث ثلاثة أيام . وورد في معجم الأدباء مج ١٧ ص ٢٢ ولأبي الهيذام الحراني اللغوي :

في يوم باعوثهم وقد نشروا الصلبانَ والمسلمون نظّارُ

وصرّح صاحبا اللسان والتاج بسريانيته قالا : وقيل هو بالغين المعجمة والتاء

(١) ومثله الاسكافي في مبادي اللغة ص ١٦٢

فوقها نقطتان · (٢ : ٤٢٢ ـ و ٤ ـ ١٢٩) وقد غلطا كما غلط ابن دريد في قوله « الباغوث » والجواليقي ص ٥٧ وصاحب المخصص ١٣ : ١٠٢ في تعريفهما انه عيد النصارى على وجه الاطلاق · وكذلك شرح القاموس في مادتي (ب ع ت ، ب ع ث) فانه بالعين المهملة ·

وخلاصة هذا الشرح : ان الباعوث كان قديمًا يعني اولاً صلاة الاستسقاء وكشف الغمة في اثناء نزول الأوبئة وما اليها ، وثانيًا دعاء في أثناء الطواف في الأعياد الحافلة

أما في وقتنا هذا فيعني أولاً : أبياتاً منظومة مختارة يترنم بها السريان في صلاتهم وثانيًا : صومًا خاصًا بهم يسميه نصارى العراق باعوث نينوى وهو ثلاثة ايام تتقدم الصوم الأربعيني بثلاثة أسابيع ، وثالثًا حفلة دينية ثاني عيد الفصح عند الروم في بلاد الشام[1] ·

باكورة : ܒܟܘܪܐ ܒܟܘܪܬܐ bacoro , bacortho أول الثمر خاصة والاسم ܒܩܝܪܘܬܐ bqiroutho وفي سفر اللاويين ٢٣ : ٢٠ « مع خبز البواكير »

البُحران : ܒܘܚܪܢܐ Bouhrono البحران عند الأطباء هو التغيير الذي يحدث للعليل دفعةً في الأمراض الحادّة ، مولدة (عن المطرّزي وأقرب الموارد والقاموس) انها لفظة سريانية وجمعها بحرانات ، وللطبيب الفيلسوف قسطا بن لوقا الرومي البعلبكي المتوفى عام ٩٠٨ م كتاب في النبض ومعرفة الحمّيات وضروب البحرانات ، وكتاب أيام البحران ، (طبقات ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٥) ولأبي الفرج ابن الطيّب تفسير كتاب البحران لجالينوس (فيه ١ : ٢٤٢) ورد هذا الاسم مراراً عديدة ·

برّا : ܒܪܐ Baro خارج ، وبرّاني ܒܪܝܐ : Baroio خارجي : وقال

(١) انظر كتاب اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٤٩٧

صاحب التاج : أصله من قولهم خرج فلان برّاً اذا خرج الى البرّ والصحراء وليس من قديم الكلام وفصيحه [1] .

البَرْخ : جاء في الجمهرة ص ٢٣٢ ويوافقه ابن سيدة ١٣ : ٦٥ البرْخ : الكثير الرخيص ، لغة يمانية ، وأحسب أصلها عبرانياً أو سريانياً وهو من البركة والنماء ، قال العجّاج :

ولو رآني الشعراء دُيِّخوا ولو تقول بَرِّخوا ابَرَّخوا

لمارِ سرجيسَ وقد تدخدخوا

وفيه نظر ، فان قول الشاعر : بَرِخوا وبَرّخوا انما أراد به (ابرِكوا فبَرَكوا) من فعل ܒܪܶܟ Bréq السرياني بركَ : اي اركموا بالركوع ذكرى مار سرجيس الشهيد الجليل المنزلة عند العرب ، وتدخدخوا اي انقبضوا . وليس هو من البرْخ وهو الكثير الرخيص ، ولا من البركة . وليس في السريانية سوى لفظة ܒܘܽܪܟܬܳܐ Bourktho وتعني الغزارة والوفور ، فيظهر أنها اشتقت منها ، وحقها أن تكون البرْك لا البرْخ .

بارك : جاء في أقرب الموارد : برّك على الطعام وبرّك فيه : دعا له بالبركة ، وبارك الله لك وفيك وعليك وباركك : جعل فيك البركة وطهّرك . وتبارك الله تعالى : تقدس وتنزه .

ولكن لم يرد في المعاجم : باركَ الرجلُ اللهَ الا في ترجمات التوراة العربية من ذلك « باركوا الربّ يا جميع عبيد الرب » مزامير ١٣٣ : ١ وقد تكرر كثيراً . فهو بهذا المعنى حمد وسبّح مأخوذ من السريانية ܒܰܪܶܟ Barech .

وأضف الى برّك استعمالها للأشخاص عندنا من فعل ܒܰܪܶܟ نفسه ومنه في القانون السابع لابيفانيوس كما ورد في كتاب الناموس وهو المجموع الشرعي للروم

(١) برّاً ، قال الزبيدي الصواب من برّ وهو ضد البحر والبرّية منسوبة اليه والجمع براري . وكذلك قال الأزهري هو كلام المولدين . قال في الدرّ المصون وفيه نظر لقول سلمان الفارسي « لكل امرىء جوّاني وبرّاني » أي باطن وظاهر ، وهو مجاز .

« يضع يده عليه ويبرّكه » وفي التاريخ الموسوم بتاريخ سعرت مج ٢ ص ٢٦٤ تبرك منه ، وبرّكه .

بُرشانة : ܦܘܪܟܢܐ Fuorchono خبزة التقدمة والقربان . سريانية نصرانية أخذاً من الاسم المذكور .

بَرشعثا : ܒܪ ܫܥܬܗ Barchoôthé اسم علاج معناه اللفظي : ابن ساعته وقالوا فيه : بُرء الساعة : ولأبي بكر الرازي كتاب بهذا الاسم . قال البديع الاصطرلابي يمدح (البرشعثا) لما الفه أو جدده أوحد الزمان ابو البركات الطبيب :

تجرّعت برشعثا وحاليَ أشعثٌ فما نزلت بي بعده علةٌ شعثا
ولو بعد عيسى جاز احياء ميّت لأصبح يحيا كلّ ميْتٍ ببرشعثا

بِرْكة : ܒܪܟܬܐ Brectho بِركة ماء : لفظة آرامية قديمة .

البِرْنساء : ܒܪܢܫܐ Barnocho انسان ، رجل والاسم ܒܪܢܫܘܬܐ Barnochoutho إنسانية ، طبيعة بشرية . قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٢ آدم أول البرنساء أي الناس . وفي كتاب المزهر ٢ : ٣٢٣ قال اعرابي : يا أيها البرنساء : كَلِبَ الأَزْلم ، اخذاً من الاسم : وحكى ابن سيدة ١٤ : ٩٩ برنساء على فعلالاء وقال صاحب المزهر ١ : ١٦٦ عن الأندلسي بمعنى الخلق وقال تفسيره بالسريانية ، ابن الانسان . وقال صاحب التاج ٤ : ١١٠ أي الناس ... والولد بالنبطية (كذا) برة نساء وقال الدينوري في أدب الكاتب ص ٢١٢ البرنساء الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال في المثل ما أدري أيّ البرنساء هو . قلنا ان قول التاج برة نساء تعني امرأة ܒܪܬ ܐܢܫܐ Bathnocho بادغام الراء فهذا الحرف سرياني ولم تصرح المعاجم بسريانيته [1]

---

(١) قال صاحب الجمهرة في لفظة « البرنس » ص ٢٥٥ ان كانت النون زائدة فهو من البِرس أي القطن وان كانت أصلية فهو من قولهم ما أدري أي برنساء هو ، يعني أي الناس هو – اهـ – فانظر هذا التكلف البارد في التخريج الفارغ المغلوط فيه ، والا فأية نسبة للبُرنُس وهو الكساء الذي يغطّى به الرأس ، القلنسوة الطويلة ، أو الثوب الذي رأسه ملتزق به ، وللفظة (برنساء) السريانية ؟

الباري والبارياء والبورية والبارية : الحصير المنسوج من القصب وجمعه البواري قال فيه التاج : فارسي معرّب . وذكر القاموس انه معرب وهو بالسريانية ܒܘܪܝܐ Bourio والجمع ܒܘܪ̈ܘܬܐ Bourootho و ܒܘܪ̈ܝܬܐ Bouriotho قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ١١١ فعلق النار ببواري كانت ملفوفة في جانب الهيكل . وجاء في معجم الأدباء ٢ : ٢٥٨ ليس في داري سوى البواري . قلنا اننا نرجح سريانية هذا الحرف على فارسيته ، ذلك ان حضارة الآراميين وانتشار لغتهم سبقتا حضارة الفرس بدهر مديد[1] . وما ارتأيناه في هذا الحرف ينطبق على الحرف الآتي وهو :

بَريد : رسول ، ناقل الرسائل وغيرها . جاء في التاج : قال الزمخشري في الفائق : البريد كلمة فارسية يراد بها في الأصل البرد . وأصلها برده دم أي محذوف الذنَب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت وخففت ، ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً اهـ . وفي السريانية ܒܪܝܕܐ Baridho بريد . رسول[1] .

بِزّ : بالكسر ثدي الانسان حلَمة ܒܙܐ Bezo ، ܒܙܬܐ Bezto الحلَمة رأس الثدي . قال احمد رضا في العامي والفصيح « مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٩ ص ١٤٩ » « البَزّ » قال صاحب التاج والبَزّ والعامة تكسره ثدي المرأة ولا أدري كيف ذلك هذا كلامه . والذي أراه ان العامة اختزلت البَزّ من

— والبُرْنس لفظ فارسي — وقيل ان « البَيْرُون » اشتق منه — قالوا في تعريفه ، هو ثوب يُطرح على الرأس وينزل على الكتفين ܒܝܪܘܢܐ Birouno وهو قبع كان جاثليق المدائن ينفرد بلبسه .

(١) الآثار الآرامية : للدكتور داود الجلبي الموصلي ص ١٩ و ٢٣ .

ومن توافق الألفاظ في اللغتين السريانية والعربية : حرف : بَزّ يبزّ بَزّاً وبِزّيزَى . سلب ، نهب ܒܙ ، ܒܙܘܙܝܐ Baze , Bzouzio وهذا المصدر النادر (بِزّيزَى) وقع في اللغتين يُقال رجعت الخلافة بِزّيزَى أي تُبزّ بَزّاً ولا تؤخذ بالاستحقاق . (أساس البلاغة ١ : ٤٥) .

البَزْباز أي بزباز الكير استعير لحلمته التي يمتصها الرضيع ثم عم عندهم للثدي كله ، أما بزباز الكير فقد جاء عن أبي عمرو كما في التاج « البزباز قصبة من حديد على فم الكير الذي تنفخ منه الكير » اه . فالكلمة سريانية ليست لا من البزباز ولا من الإبزاء وهو ارضاع المرأة الصبي الرضيع كما وهم رشيد عطية في كتابه : « الدليل الى مرادف العامي والدخيل » .

بَسأَبه : ܒܣܐ Bço تهاون واحتقر ، رذل نبذ ، وردت في التاج ١ : ٤٩

البساق : جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٩ « قالوا وكان النهر المعروف بالبزاق قديماً وكان يدعى بالنبطية (البساق) أي الذي يقطع الماء عن ما يليه ويجرّه اليه » هذه كلمة سريانية ܦܣܩܐ Fsoqo بالقاف بعد السين وهي : القطع والصدّ والمنع أو ܦܣܩܐ ، ܦܣܘܩܐ Fosqo ، Fosouqo القاطع والمانع .

البَسط والبساطة : قال السيد احمد رضا (مج ١٩ ص ١٤٩) « من المولّد البساطة في الطبع وهي السذاجة وأصل البسط في اللغة النشر ، وفي البصائر : استعار قوم البسط لكل شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم » اه وقال السيد مصطفى جواد (مج ١٩ : ٢٦٤) استعمال بسيط بمعنى هيّن وسهل ليس بفصيح ، ثم أورد خمسة أدلة استشهد بها ان معنى بسيط هو واسع ، قال الفرّاء « اني مملٍ كتاب معانٍ أتمّ شرحاً وأبسط قولاً من الذي أمليت » (تاريخ الخطيب البغدادي مج ١٤ ص ١٥٠) . وراجع الجمهرة ص ٢٨٤ ترَ ان اللغة تخلو من لفظة بسيط بمعنى : ساذج . فالحرف سرياني : ܦܫܝܛܐ Fchito ، بسيط غير مركب ، ساذج ، بسيط اعتيادي ، سهل هيّن . والمصدر ܦܫܛܐ Fchoto والاسم ܦܫܝܛܘܬܐ Fchitoutho بساطة سذاجة . سهولة ومما يجب اضافته الى هذه المادّة : الترجمة البسيطة المشهورة في العالم المسيحي وهي ترجمة للكتاب المقدس بالسريانية عُملت في القرن الأول وصدر القرن الثاني للميلاد ܦܫܝܛܬܐ Fchitto فشيطتا

البِطاقة : قال الجوهري رُقَيعة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر سميت بذلك لأنها تُشدُّ بِهُدبٍ من الثوب ، والرسالة ج بطائق : ܦܛܩܐ ܦܬܩܐ Fetqo سريانية [1]

البَطَّة : قال صاحب الجمهرة ص ٣١١ هذا الطائر ليس بعربي محض : اللفظة سريانية ܒܛܐ Bato « كنز اللغة السريانية لتوما اودو ص ٧٠ »

البُطم : شجر وثمر ، وفي قاموس الألفاظ الزراعية للشهابي ص ٥١١ لفظة سامية لها أشباه بالآرامية والعبرانية والآثورية . وورد في سفر التكوين ٤٣ : ١١ « وخذوا في أوعيتكم من خيرات الأرض وأطايبها ... وبُطماً » ܒܛܡܐ ، ܒܛܡ̈ܐ والواحدة ܒܛܡܬܐ Betmo ، Betmé ، Betmtho .

بِطّيخ : ܦܛܝܚ̈ܐ Fatihé ضرب من اليقطين لا يعلو ولكنه يذهب حبالاً على وجه الأرض . والمَبطخة موضعه ومَنبِتُه وتبطَّخ أكل البطّيخ (الأساس ١ : ٥١) .

بَعير : دابّة ، بهيمة ، جمل ، بعير . عد السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة قال في كتاب الاتقان ص ١٣٩ « أخرج الفريابي عن مجاهد في قول القرآن ، كيل بعير أي كيل حمار ، وعن مقاتل ان البعير كل ما يُحمَل عليه وهو بالعبرانية . هو بالسريانية ܒܥܝܪܐ باسكان أوّله : Biiro

البُستوقة : قُلّة مدهّنة ، ܒܙܕܘܩܬܐ Bezdouqto : قال الاسكافي في باب الأواني : « من الخزف البُستوقة وهي مضمومة الباء » وجاء في طبقات الأطباء ١ : ١١ اخرجت اليهم بستوقة خضراء فيها خمر مطيّنة الرأس لم تُفتح . وهذه اللفظة معروفة في عاميّة بلاد الشام والجزيرة وهي سريانية [2] .

---

(١) وذكرها الثعالبي في فقه اللغة ص ٣١٨ في ما نسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية . راجع في هامش القاموس ٣ : ٢١٤ اعتراض ابن سيدة على تعريف الجوهري .

(٢) البشنقة : قال في مستدرك التاج « البشنقة هي البخنقة » وفي ذيل أقرب الموارد عن التاج « تبخنقت الجارية تقنّعت بالبخنق » وفي أقرب الموارد والقاموس : البخنق بضم الأول وضمّ الثالث وفتحه ، خِرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن —

بَلَخِيَّة : ܒܗܠܘܝܬܐ Bhaloito شجرة ذات رائحة طيّبة . وقال الشرتوني : شجر عظيم أشبه بالرمان له زهر حسن .

بَلّور : ܒܠܘܪܐ Bélouro والنسبة اليه ܒܠܘܪܝܐ Bélouroio قال أيوب الصديق : في صفة الحكمة « لا يُذكر المرجان او البلور بازائها ٢٨ : ١٨ » وفي أقرب الموارد : البلاّري : المصنوع من البلور والمرصّع به ، ولم اره في الأمهات الصحيحة ولكن نقله فريتغ ولم يسنده ، فحرره .

بَلُّوط : شجر وثمر معروف ، لفظة آرامية ܒܠܘܛܐ Baluto « معجم الألفاظ الزراعية » والواحدة ܒܠܘܛܬܐ Balouttho وفي سفر اشعيا ٦ : ١٣ ويعود فيؤكل كالبطمة وكالبلوطة .

البَليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون وأعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حرّان فيجري نحو خمسة أميال ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مَسلمة بن عبد الملك حصناً يكون اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً ، وأجرى ماء تلك العيون تحته ، فاذا خرج من تحت الحصن يُسمى بَليخاً . (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٨٢ و ٢٨٣) قال ابن دريد : لا احسب البليخ عربياً (فيه) ... وقد جمعها الأخطل وسماها بُلخاً ، قال : أقفرَتِ البُلخ من غَيلان فالرُّحَبُ

وقال في الجمهرة ص ٢٣٨ موضع لا أحسبه عربياً صحيحاً . قلنا هو سرياني ܒܠܝܗܐ Bliho ابلَه ، حيران .

البُنك : في القاموس : البُنك أصل الشيء او خالصه ، وعلّق عليه في الهامش قوله البُنك بالضم معرّب كما قال الأزهري . والبِنج بالكسر : الأصل .

— والدهن من الغبار . وورد في الدليل ܦܫܡܘܓܐ ، ܦܚܡܘܓܐ Fachmougho Fachmogho : خلَق ، خرقة . واللفظة مستعملة في لغة الموصل العامية فارتأى الدكتور داود الجلبي أنها معربة عن السريانية (الآثار الآرامية ص ٢٠) .

وهو حرف سرياني ܒܘܢܩܐ Bounqo ومعناه قاعدة ، أصل المنارة خاصةً .
ومنه فعل تبنَّك أقام في المكان ، تأصل . وفي أقرب الموارد . يقال هؤلاء
قوم من بُنْك الأرض . أما صاحب الجمهرة فقال فيه ص ٣٢٧ بُنْك الشيء
خالصه كلام عربي صحيح !

البِنِّي : صنف من السمك وخلا منه القاموس وهو بالسريانية ܒܝܢܝܝܬܐ ،
ܒܝܢܝܬܐ Binoito ، Binoiotho .

بُوْر : جاء في الجمهرة ١ : ٥ بُوْر ليس من كلام العرب . وورد في القرآن :
(وكنتم قوماً بُوراً) أي لا خير فيكم أو هالكين . انها لفظة سريانية ܒܘܪܐ
Bouro اي ما بار من الأرض فلم يعمر ، خاوٍ غير مفلوح . ولا تزال عامة
أهل بلاد الشام تتداولها بهذا المعنى .

بوص : ܒܘܨܐ كتّان وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ « واسمانجوني وارجوان
وقرمز وبوص » Bouço .

بَيْزار : حامل البازي ܒܙܝܩܪܐ Boziqoro .

البِيعة : قال ابن سيدة ١٣ : ١٠٢ موضع المترهب وقيل هي كنيسة اليهود ،
وكلا قوليه غلط فان البيعة متعبَّد المسيحيين والكنيس متعبَّد اليهود ، والدير
موضع المترهب . وقال الجواليقي ص ٨١ البيعة والكنيسة جعلها بعض العلماء
فارسيين معرَّبين ! . قلنا أجمع علماء السريانيين ان « البيعة » عبرية الأصل
اشتقت من حرف ܥܐܕܐ أي العيد ، وهو عبراني آرامي كأنهم قالوا فيها
ܒܝܬ ܥܐܕܐ وأدغمت فيها الثاء والدال Béïto وسريَنها السريان بتحويلها عن
لفظ العبرانيين الى لفظهم فقالوا فيها ܥܕܬܐ I'to ومعناها المجمع الحافل أو المحفَل البهج ،
الذي يكون في العيد . وجمعها بِيَع وبِيعات وبِيَعات . قال الزبرقان بن بدر التميمي :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منا الملوكُ وفينا تُنصب البِيَعُ (١)

(١) سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥

حرف التاء

تاج : ܬܳܓܳܐ Togho (توغو) اكليل وتوّجه به فتتوّج البسه اياه : وفي سفر ايوب الصديق : « ونزع تاج رأسي » ١٩ : ٩ . وفي مزامير داود النبي « ووضعتَ على رأسه تاجًا من ذهب ابريز » ٢١ : ٣ . سريانية وأما التاج بالعبرية فهو كَتِر [١] .

التّامُور : قال ابن سيدة ١٤ : ٤٣ التّامور صبغ احمر وربما جعلوه موضع السرّ ، سريانية . وقال ابن دريد (المزهر ١ : ١٦٦) ومما اخذوه من السريانية التامور وهو موضع السر اه . وزاد الفارابي : وما بالدار تامور اي احد ، وما في الركّية تامور اي شيء من ماء . قلنا ليس في السريانية شيء من هذا الحرف وهذا المعنى . وليست التّامور لفظاً يونانياً كما ورد في الطبقات ١ : ٨٧ ولكنها حبشية [٢] . وجاء في التاج ١ : ٢٠ التامور صومعة الراهب وناموسه ، وقالوا أيضاً : التامورة صومعة الراهب وعرّيسة الأسد . وانما هي النامور والنامورة بالنون لا بالتاء : و ܢܳܡܘܪܬܳܐ Nomarto تعني عندنا قفص السباع ، وبالعربية : مصيدة الذئب فاستعملوها بطريقة الاستعارة .

تُبّان : ܬܽܘܒܳܢܳܐ Toubono سراويل ، سريانية وقال بعضهم انها فارسية

تبّرهُ اللهُ : أهلكه ܬܰܒܪܶܗ من فعل ܬܒܰܪ و ܬܰܒܰܪ Tabré , Tbar Tabar سحَق وحطّم والمصدر ܬܽܘܒܳܪܳܐ touboro ، وفي سفر أيوب « وتبّرني من كل جهة » ١٩ : ١٠ وفي نبوّة ارميا « فقد سلّطتك اليوم على الأمم والممالكات لتنسف وتهدم وتتبر » ١ : ١٠ كتاب الدين والدولة ص ١٠٦ واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : وليتبروا ما علوا تتبيراً ، قال تبّره بالنبطية (الاتقان

---

(١) من الألفاظ العامية : التاقول وهو وزّان البناء ، والساعة ܬܳܩܽܘܠܳܐ Tocoulo حرف سرياني .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب شيخو ١ : ٢١٢

للسيوطي ص ١٣٦ ـ ١٤١) وفي الجمهرة ١٩٤ تبّره الله تتبيراً اذا اهلكه ومحقه . قال ابن اسحق ، ومنه قيل لمكسّر الزجاج تبر ܬܒܪܐ tebro كسرة قطعة ٦ : ١٢٩

تُخم : ܬܚܘܡܐ Thoumo حدّ ، آخر ، نهاية والفعل ܬܚܡ Tahème تخم ، حدّد ، عيّن وفي سفر التكوين « فكانت تخوم الكنعاني من صيدون » ١٠ : ١٩ وفي سفر العدد « فيكون البحر الكبير لكم تخماً » ٣٤ : ٦ جاء في التاج : من اللغويين من قال التخوم مفرد جمعه تخوم ايضاً . ومنهم من جعلها جمعاً واحده تخم ومنهم من قرأها بالفتح وآخرون بالضم . وغلط صاحب شفاء الغليل بقوله : تخم عربي صحيح لأنه معرّب عن السريانية .

ترجم : ܬܪܓܡ Targhème ترجَم ومشتقاتها الترجمة والترجُمان ܬܘܪܓܡܢܐ ، ܬܪܓܡܢܐ و ܬܘܪܓܡܢܐ Tourgmono , Targmono حروف سريانية لا اصل لها في العربية . ومنها ܬܘܪܓܡܐ Tourgomo بمعنى الخطبة وجمعها تراجيم ، تداولها السريان المسيحيون في القرون الأولى والوسطى لتفسير القس او الأسقف بها فصل الانجيل الذي يقرأه ، وورد في كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ١٥٣ « وترجم وقدّس » اي خطب بعد قراءة الانجيل مفسراً اياه . وفي المجدل لعمرو الطيرهاني ص ١١١ وعمل كتباً كثيرة من جملتها كتاب تراجيم الأعياد المارانية ، ويعني الخطب الدينية التي حبّرها الخطيب البليغ ابو حليم ايليا الحديثي جاثليق الكلدان المتوفى عام ١١٨٩ م وقد طُبعت في الموصل .

ترَص الشيء : قوّم وأحكم فهو تريص . وفي التاج ٤ : ٣٧٩ ترَص الشيء فهو تريص محكَم شديداً ميزان تريص : مستو عدل ـ ا هـ ـ وترّصه احكمه فهو مترّص وتريص . وبالسريانية ܛܪܨ ، ܬܪܨ ، ܡܬܪܨܐ ، ܬܪܝܨܐ Trace , Tarèce , mtarço , Triço قال امية بن ابي عائذ في ديوان الهُذَليين ص ١٧٧ :

او دُمية المحرابِ قد لعبت بها ايدي البُناةِ بزُخرُفِ الإِتراصِ [١]

تُرعة : ܬܘܪܥܬܐ Tourᵉetho : تُرعة ، ثلمة ، فوّهة ، جدول ماء ٠ قال في شفاء الغليل ص ٥٢ « ترعة بالضم هي الباب بالسريانية » قلنا وصوابه ما أوردناه اما الباب فهو ܬܪܥܐ Tarôô » والترّاع البوّاب عرّبت وجعلت بمعني مفتتح الماء ومجراه لأنه يشبه الباب » اه ثم اورد حديثًا وردت فيه العبارة : « تُرعة من تُرَع الجنّة » وفي التاج ٥ : ٢٨٤ « والترعة الباب نقله الجوهري والصاغاني يقال فتح تُرعة الدار اي بابها ٠ وقال ثعلب :

الترّاع : البوّاب : وفي الأساس ١ : ٦٩ جاء القرّاع فردّه الترّاع ٠ هو ܬܪܥܐ Taroᵉau [٢] ومما أُلحق بهذا الحرف دير للسريان كان بالقرب من حلب يسمى (ترعيل) [٣] من لفظي ترع وإيل اي باب الله ويُعرف اليوم باسم قرية بابلي ٠ وذكر ابن المستوفي ايضًا في تاريخ اربل (عُمر اتراعيل) المشرف على بلد حزّة وبينه وبين كفر عزّى أقل من ميل (في بلاد العراق) [٤]

ومنه ايضًا (ترعوز) اسم قرية كانت مشهورة عظيمة بالقرب من مدينة حرّان (من ترع : باب وعوز) اي العزّى الصنم المعروف أو عزوز احد آلهة الصابئة (الفهرست لابن النديم ص ٤٤٦ و ٤٥١) وذكر البيروني في القول على اعياد المجوس الأقدمين وصيام الصابئين وأعيادهم قال « وفيه اي في العشرين من ايار ، عيد ترعوز » [٥]

ترِمال : ܬܪܡܠܐ Tarmolo مِزود ، مخلاة ، وزاد ابن بهلول : خريطة ، ترمال ٠ لم يرِد هذا الحرف المعرّب عن السريانية في المعاجم العربية ٠ لكن في ترجمة الانجيل القديمة الفصيحة التي منها نقل علي بن ربن الطبري في كتابه

(١) النصرانية وآدابها ١ : ٣٥٤

(٢) وجاء في المجدل لماري بن سليمان ص ٩٢ وجعل عليه الرصد ترّاع بيعته ٠

(٣) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٥٠٩ (٤) مسالك الأبصار للعمري ص ٢٨٨

(٥) الآثار الباقية ص ٣٢١

« الدين والدولة » الذي وضعه نحو سنة ٨٦٠ م « وليس معكم كيس ولا ترمال (يعني به المزود) ... فليشتر ... ومن لم يكن له ترمال مزوداً » انجيل لوقا ٢٢ : ٣٦ [1] .

تِكّة : رباط السراويل ج تِكَك : ܬܟܬܐ Tecto قال ابن دريد أحسبها دخيلاً . وجاء في المزهر ١ : ١٦٧ قال في الجمهرة : التكة لا أحسبها الا دخيلاً وان كانوا قد تكلموا بها قديماً . وصاغ العرب منها فعل استتك . وآلتها : المتك (التاج) .

تلاشى : هذه كلمة خاض فيها بعض الكتاب واختلفوا فيها : قال الأستاذ النشاشيبي في (احاديثه في اللغة المجلة مج ١٩ ص ١١٨ ـ ١٢١) بنت العربية (الملاشاة والتلاشي) من (لا شيء) في القرن الثالث ، فقالوا : لاشى يلاشي وتلاشى . وجاء في النهج (وما تلاشت عنه بروق الغمام) وعلق ابن ابي الحديد في الحاشية مج ٢ ص ٥٣٢ قوله : هذه الكلمة اهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة وقد جاءت ووردت . قال ابن الاعرابي : لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة ، واذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل . وقال القطب الراوندي : تلاشى مركب من لا شيء . ولم يقف على اصل الكلمة . (قلت) مقالة ابن ابي الحديد متلاشية والحق مع الراوندي (صاحب شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة) وقال البديع الهمذاني في احدى رسائله « الوحشة تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند . فان أطفئت بارت (وتلاشت) وان عاشت طارت وطاشت » وقال في مقامته الصيمرية « وتلاشت صحتي » وفي العمدة لابن رشيق ١ : ٨٠ ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى . ووردت في المثل السائر وفي كلام ابن خلدون والأمير شكيب وغير ذلك .

---

(١) ان تعيس التي يلحن فيها بعض المعاصرين بدلاً من تعِس : نراها مأخوذة من السريانية التي ورد فيها ܛܥܝܘܬܐ و ܛܥܝܘܬܐ Tiicho

وطلع علينا الخفاجي في آخر الزمان يقول في شفاء الغليل ص ٥٢ : «التلاشي بمعنى الاضمحلال عامية لا اصلَ لها في اللغة اه ودونك بقية سند الخفاجي : واعترض التاج الكندي على قول ابن نباتة الخطيب : وبقايا جسوم متلاشية ، بان تلاشى الشيء بمعنى اضمحلّ وبطل الاعتداد به ولم يرد عن العرب ، قيل كأنها مشتقة من لا شيء كبسمل وحمدل في باب النحت (كذا) قاله ابن الجوزي في غلطاته ، لكنه ورد في قول الصنوبري :

وتلاشى نضح الدموع فما تملك عيني الاّ دماً نضاحاً

وورد في حديث رواه السخاوي في كتاب مناقب العباس بهذا المعنى وصححه بخطه ان معاوية سأله عن أبيه فقال : تلاشت الأحداث عند فضيلته وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته اه .

وأردف النشاشيبي قوله «عامية يا شيخ ؟ قل مولّدة قل محدثة . قد نشأت في العراق . جاء في (جامع البيان) تفسير الطبري ج ١ ص ١٠ لما خرج عبد الله ابن مسعود من الكوفة اجتمع اليه اصحابه فودعهم ثم قال : «لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الردّ اه (قلت) وان صح شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه راويه في القرن الثالث بلغة وقته اه .

وقال الأستاذ سليم الجندي في رسالته في علي بن ابي طالب ص ١٢١ «تلاشى كلمة مولّدة لم ترد في كلام صحيح للمتقدمين» اه .

قلنا : هي كلمة معربة من السريانية اما من فعل ܐܬܠܐܝܛ Ethlaiti : تلاشى ، أعدم ، وهو مجهول فعل ܠܐܝܛ Laiti واما من فعل ܐܬܬܠܫ Ettlèche : قلع نزع استؤصل ، مجهول فعل ܬܠܫ Tlache وأدلة النشاشيبي تؤذن بصحة استعمالها من القرن الثالث فما بعده ولا تمعن في أصلها ، ولا يصح اشتقاقها من (لا شيء) كما لم يصح زعم بعض الأئمة اشتقاق كلمة (ازلي) من (لم يزل) [1]

---

(١) انظر أساس البلاغة ١ : ١١ وشفاء الغليل ٣٢

التِلميذ : ܬܠܡܝܕܐ Talmidho : المتعلم والطالب يقال تتلمذ له وتلمذ صار تلميذاً له ، والمصدر التلمذة ܬܘܠܡܕܐ Toulmodho ولا أصل لهذا الحرف في العبرية وانما هو سرياني أصله من فعل ܠܡܕ Lmadhe اي جمع أضاف ، وفي انجيل متى : « تلمذوا جميع الأمم » ٢٨ : ١٩ وورد في سفر أخبار الأيام الاول « المعلم مع التلميذ » ٢٥ : ٨ وخص بامم التلاميذ الرسل الحواريّون أنصار السيد المسيح واتباعه السبعون (قاموس ابن بهلول مج ٢ ص ٢٠٦٨) وخلا من هذا الحرف اساس البلاغة والمصباح والقاموس[1] .

تِلّيس ، تِلّيسة : ܬܠܝܣܐ Taliço : كيس ، خُرج ، عِدل ، وفي قاموس ابن بهلول : اصغر من الجوالق . جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٢٦ « وكان اذا غزا اخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع ... ومخلاة وتلّيسة . وفي شرح درة الغوّاص ص ١٤٦ التليس الكيس الذي يوضع فيه الدفاتر والعامة تستعمله بمعنى الغرارة . وفي درّة الغواص ص ٦٢ ذكر ثعلب في بعض أماليه ، ان قول الكتّاب لكيس الحساب تَلّيسة بفتح التاء مما وهموا فيه واما الصواب كسرها . وفي محيط المحيط ، التلّيس الهنة تسوّى من الخوص فتوضع فيها الزجاجة ، وكيس الحساب أيضاً . وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٣ : ٩٢٩ في ذكر دابة ظهرت في النيل ورقبتها مثل ثخن التلّيس المحشوّ تبناً : تعليق في الهامش وهو : معنى التليس هنا الكيس الذي يستعمل لتعبئة الغلال والأتبان . وهو مطابق لمعنى التلّيس بالسريانية ويغلب نسجه من القنّب لا من الخوص .

تنّور : ܬܢܘܪܐ Tanouro ، وبالعربية مشدّدة النون : جاء في التاج ٣ : ٧١ « التنّور الكانون الذي يُخبَز فيه (أراد بالكانون ما يشبه الخابية الواسعة) يقال

---

(١) قال صاحب المزهر عن أبي الطيب اللغوي « واما لأنه لم يخرج من تلامذته أحد يحيي ذكره » ٢ : ٢٥٩ ونقلها من خطه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ١ : ٥٩ .

هو في جميع اللغات كذلك ، وقال الليث التنّور عمت بكل لسان ، قال ابو منصور هذا يدل على ان الاسم في الأصل اعجمي فعربته العرب فصار عربياً على وزن فعّول ، والدليل على ذلك ان أصل بنائه تنر · قال ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل ، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس ، والاستبرق وما أشبهها ولما تكلمت بها العرب صارت عربية » وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٢٣٢ « ذهب ثعلب أيضاً في تنور الى انه تفعول من النار وهو غلط انما هو فعّول من لفظة ت ن ر وهو أصل لم يستعمل الا في هذا الحرف وبالزيادة كما ترى · ومثله ما لم يستعمل الا بالزيادة : حوشب وكوكب وشعلع وهزنبزان ومنجنون وهو باب واسع جداً · ويجوز في التنور ان يكون فعنولا · ويقال ان التنور لفظ اشترك فيه جميع اللغات من العرب وغيرهم ! وان كان كذلك فهو ظريف ، الا انه على كل حال فعّول او فعنول » اهـ وقال الاسكافي ص ٦٢ « التنور لفظة عربية والتاء فيه أصلية وليس من النار ولا من النور ويقال له الوطيس » وقال في ص ٣٤ « المِسْعَر والوطيس والتنور والهيلم واحد » وراجع في المزهر ١ : ١٥٨ رأي ابن جني وتخبطه في هذه اللفظة · أما الأصمعي فاعتبرها فارسية (المزهر ص ١٦٦) ومثله ابن سيدة ١٤ : ٤٣ وقد وردت بالفارسية وهي مخففة · والخفاجي ٥٢ وقال ابن عباس ان التنور مشترك بكل لسان [1] ، وأقدم ما ورد لفظ التنور في التوراة في عهد ابرهيم الخليل « واذا بتنّور يدخّن » سفر التكوين ١٥ : ١٧ وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب ، وفي زاويته فار التنور » ويستعمل التنور أيضاً لطبخ الآجرّ : قال ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص ٤٠٦ « وكان يعمل مع أرباب تنانير الآجرّ وهو الذي ينقل اللبن الى التنور ثم يحطه بعد طبخه »

---

(١) وفي المصباح المنير ١ : ١٢٣ التنور الذي يخبز فيه وافقت فيه لغة العرب لغة العجم وقال ابو حاتم ليس بعربي صحيح . وفي الاتقان ١٣٩ : ذكر الجواليقي والثعالبي انه فارسي معرب .

فجمعه تنانير ، وصانعه التنّار . وصفوة هذا البحث : ان التنور اما لفظ سرياني في ما نرى واما ورد في اللغة السامية القدمى ومنها مرى تداوله الى اللغات الشرقية .

تنّوم : ܬܢܘܡܐ Tanomo نبات القنب المعروف الذي يسمى حبه الشاهدانج . حرف سرياني .

تنين : ܬܢܝܢܐ Tanino حوت ، حية عظيمة ج تنانين . وفي سفر التكوين «وخلق الله التنانين العظام» ١ : ٢١ سريانية .

توث : ܬܘܬܐ Toutho شجر وثمره معروف ، جاء في التاج : صرح ابن دريد وغيره بأنه معرب ليس من كلام العرب الأصلي ، وان اسمه بالعربية الفرصاد بالكسر . وقال صاحب المزهر في شرح أدب الكاتب انه اعجمي معرّب . وقال الأزهري كأنه فارسي والعرب نقوله بتائين ، ومنع من الثاء المثلثة ابن السكّيت وجماعة «المصباح ١٢٤» واختلف اللغويون في التاء والثاء ومنهم من قال أنهما لغتان ، والصواب أنه حرف سرياني بالثاء المثلثة .

التيمن : ܬܝܡܢܐ Tâïmno ܬܝܡܢ Taiman قال الشرتوني وذكره في حرف الياء وحقه ان يذكر في حرف التاء «التيمن الجنوب والتاء بدل من الهمزة ، وقيل سريانية» . قلنا هي سريانية وتاؤها أصلية وليست بدلاً من الهمزة من لفظ أيمن . جاء في نبوة اشعيا ٢١ : ١ «انك ستأبي من جهة التيمن من بلد بعيد (الدين والدولة ص ٨١) وفي انجيل متى ١٢ : ٤٢ «ملكة التيمن أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان» وفي كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٣ «وهاتان الجهتان المشرق والتيمن بخلاف ذلك» وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ «ولبني حام التيمن كله اي الجنوب» وفي ص ١٠٢ «وتمت نبوّة دانيال حيث قال : ابنة ملكة التيمن تعطى لملك الجربياء»

* * *

حرف الثاء

ثبْ : جلس متمكناً(١) : ܝܬܒ ytbèbe ومنه صيغة الأمر :

ثِبْ : اجلس : ܬܒ Thèbe وفي الاكليل للهمداني ص ٣٩ : « ذكروا انه وفد بعض بني دارم الى ملك اليمن في عصره ، فقصده بظفار فصادفه دونها في متصيَّد له وهو مُشفٍ على عرفة جبل . فلما واجهه علم أنه وافد . فقال له ثب على الفِناء اي اقعد على الأرض ، والأرض الفِناء . فظن انه يقول له ثب في الحيد . فوثب فتردى فمات . فقال الملك : من دخل ظفار حمَّر أي لا يقصد ظفار الا من عرف لغات أهلها » وروى اللغويون هذه الحكاية في مادة ح م ر . وصاحب المزهر في النوع السادس عشر ١ : ١٥٢ وقال : وورد في الحديث : فوثبه وسادة أي افرشه اياها . وان الوثاب : الفراش في لغة حمير . مثقال : وزن معلوم ܬܟܠܐ ، ܡܬܟܠܐ Mathcolo , Teclo

* * *

حرف الجيم

جالوت : جالية ، سي : ܓܠܘܬܐ Goloutho كلمة سريانية والفعل : ܓܠܐ ، ܓܠܝ ، ܓܠܘ ، جلا ، سي glo , galwi والفاعل ܓܠܘܝܐ ، ܓܠܘܝܐ galawois , golwio وجمع الجالية جوالي . قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ١١٣ « وكانت له (لسعيد بن يعقوب الفيومي) قصص بالعراق مع رئيس الجالوت داود بن زكي من ولد داود واعترض عليه ... وكانت وفاته بعد الثلاثين والثلثماية » وقال البيروني في الآثار الباقية ص ١٦ « رأس الجالوت وتفسيره رئيس الجالية الذين جلوا عن أوطانهم بيت المقدس هو صاحب كل يهودي في الدنيا والمتملك عليه مطاعاً في جميع الأمصار نافذ الأمر عليهم في أكثر الأحوال »

(١) أقرب الموارد .

وفي ص ٥٨ « ومنهم فرقة يسمون العنانية وهم منسوبون الى عنان رأس الجالوت كان منذ مئة وبضع سنين » وهذه الرتبة أقرتها الدولتان الارشاقية والساسانية منذ صدر المئة الثالثة للميلاد أو قبيل ذلك [1] جاء في المزهر عن ابن دريد : فأما جالوت فليس بكلام عربي • وفي شفاء الغليل ص ٦٧ « قال في الزاهر « هم أهل الذمة وانما قيل لهم جوالي لأنهم جلوا عن مواضعهم » والناس الآن يتجوزون به عن الخراج وعن الوظائف المرتبة منه وهو ليس بعربي اه وقال ابن الفوطي في تاريخه الحوادث الجامعة ص ٦٤ « ابو عبد الله محمد بن فضلان •• وولي النظر بديوان الجوالي توفي سنة ٦٣١ [2] ، ووجدنا في خزانتنا المرقسية السريانية بالقدس زهاء اربعين من اوراق الخراج والجوالي تحت رقم ٣٤٩ — ٣٧٠ من سنة ٩٦٧ حتى سنة ١٠٤٩ هـ (١٥٥٩ — ١٦٣٩ م) فالكلمة توافقت عليها اللغتان السريانية والعبرية •

الجبر : ܓܰܒܪܳܐ gabro الرجل كلمة سريانية جاء في التاج ٣ : ٨٣ قال ابوعمرو : الجبر الرجل وأنشد قول ابن احمر : وانعم صباحاً أيها الجبرُ ، أي أيها الرجل • ولا تعنى ما تأوله صاحب الجمهرة بقوله في ١ : ٢٠١٨ الجبر ، الملك ، ولا ما قاله صاحب أقرب الموارد بقوله فيه ، الرجل الشجاع ، وصاحب القاموس : الرجل والشجاع •

جبرائيل : جاء في التاج ٣ : ٨٦ « جبرائيل علم ملك •• اي عبد الله قال الشهاب سرياني ، وقيل عبراني ••• وقد أشار بمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي ، قلت وأحسن ما قيل فيه ان الجبر بمنزلة الرجل والرجل عبد الله وقد سمع الجبر في قول ابن احمر كما تقدمت الاشارة اليه ، كذا حققه ابن جني في المحتسب وفيه اربع عشرة لغة ••• كما قدمنا من التخليط الأعجمي »

---

(١) لابور في كتابه « النصرانية في مملكة الفرس ص ٧ — ٨ نقلاً عن تاريخ اليهود تألف غريتز » •

(٢) راجع أيضاً المصباح ص ١٦٧ « قال ثم استعملت الجالية في كل جزية تؤخذ وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه فيقال استعمل فلان على الجالية والجمع الجوالي » •

قلنا يجتزأ عن هذا الشرح بان اللفظة سريانية عبرانية مركبة ܓܒܪܐܝܠ Gabrièle معناها : رجل الله ، عبد الله ، يراد بها المتعبد الفاضل وهي علم أول ما أطلق على جبرائيل الملاك وتسمى به بعضهم .

جَبَروت : ܓܒܪܘܬܐ gaboroutho عظمة قدرة ، والفعل ، تجبّر ܐܬܓܒܪ Ethgabar وفي نبوة ارميا ٣١ : ٢٢ « اني كاسر قوس عيلم رأس عزهم وجبروتهم » (الدين والدولة ص ١٠٧) وفي نبوة دانيال ٢ : ٢٠ « لأن له الحكمة والجبروت » والصفة :

جبّار : ܓܒܪܐ gaboro وهي من صفات الله جلّ ثناؤه وفي سفر التثنية ١٠ : ١٧ « الإله العظيم الجبار الرهيب » وفي القرآن في حق يحيى بن زكريا « وبرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصيّاً » وفيه أيضاً « قوماً جبّارين » .

وأصل الفعل بالسريانية ܓܒܪ gbare تشجع وتقوى ، واما بالعربية فورد : جبر الدين والعظيم والفقير الخ ، ووزن فعلوت : في قولهم جبروت و كهنوت وملكوت وزاد بعضهم رهَبوت ، خاص بالألفاظ الأعجمية . فجَبَروت وجبّار وتجبّر معربة عن السريانية .

جدّاد : ܓܕܕܐ ، ܓܕܐ gdodo , guédo خيط وخيط النير واللحمة خاصة ، ذكره الجواليقي في المعرّب ص ٩٥ قال : الجُدّاد : الخيوط المعقدة وهي بالنبطية « كدّاد » قال الأعشى يصف الخمّار :

أضاء مظلته بالسّرا ج والليل غامر جدادها [1]

والفعل السرياني ܓܕ gad جدّ قطع ، نسج ومثله ܓܕܓܕ guadguède وفي أقرب الموارد ص ١٠٦ الجُدّاد بالضم ، كل متعقد بعضه ببعض من خيط أو غصن ، وأخطأ بقوله انه فارسي معرب ، اذ انه سرياني [2] .

---

(١) ان ناشر الكتاب اعترض على عجمة الكلمة بما لا طائل فيه .

(٢) قول الجواليقي ص ١٠٩ عن أبي حاتم الأصمعي ان « جدّة النهر » وهو شاطئه ، أعجمي نبطي اعرب ، هو زعم لا صحة له اذ لا أثر لهذا في السريانية .

جدّف : ܓܕܦ gadèphe كفر ، حرف سرياني بهذا المعنى ولا اصل له في العربية ، وخلا منه « اساس البلاغة » وفي سفر الخروج ٢٠ : ٢٧ « بهذا أيضاً جدّف عليّ آباؤكم » وفي نبوة صفنيا ٢ : ٥٨ « قد سمعت ... وتجاديف بني عمّون » .

الجِرْبياء : ܓܪܒܝܐ garbio ريح بين الدّبور والشمال باردة واسم للأرض السابعة ، (الجمهرة ١ : ٢٠٩) ريح ، قالوا هي الشمال : وقال المسعودي في التنبيه والاشراف ١٧ و ٢٢ و ٨٣ الجربيّ وهو ناحية الشمال . وفي سفر اشعيا ٤٩ : ٧ وما بعدها : « بعض من جهة الجربياء » (الدين والدولة ص ٩٧) وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ ولبني يافث الجربيا اي الشمال و ص ١٠٣ « ابنة ملكة التيمن تعطى لملك الجربياء » .

جِرجير : ܓܪܓܝܪܐ garguiro بقلة تنبت في المناقع والجداول وربما تزرع ، سريانية .

جَريب : ܓܪܝܒܐ guribo مكيال قدره اربعة اقفزة ، سريانية .

جَزير : الجزير كأمير بلغة أهل السواد ، رجل يختاره اهل القرية لما ينوبهم من نفقات من ينزل بهم من قبل السلطان كقوله :

اذا ما رأونا قلّسوا من مهابةٍ ويسعى علينا بالطعام جَزيرُها

(ذيل أقرب الموارد ص ٩٨ عن اللسان) واللفظة سريانية ܓܙܝܪܐ : gziro جابي الخراج ومثلها ܓܙܝܪܝܐ gziroio .

جِصّ : بفتح الجيم وكسرها ، معروف ܓܨܐ guéço جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٤ « وبنى خالد حوانيت في الكوفة وجعل سقوفها آزاجا مسقوفة بالآجرّ والجصّ » وورد في الجواليقي ص ٩٥ ، « ليس بعربي صحيح » وفي الصحاح والقاموس « معرب » وفي الجمهرة ١ : ٥٢ « ليس بعربي صحيح » وفي ٢ : ٧٥ « فارسي معرب » وفي قوله هذا الأخير نظر ، فان الثعالبي في فقه اللغة ودوفال في المجلد الثالث من معجم الحسن بن بهلول لم يعدّا هذا الحرف في الألفاظ

الفارسية الأصل . والفعل بالسريانية ܓܨܨ guacéce : جصّص ومتخذه وبياعه ܓܨܘܨܐ الجصّاص guaçoço .

جَعقيل : ܓܥܩܠܐ gaᶜaqolo نبت يسمى خانق الكرسنّة ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٦٣ ، الجعقيل ، عدس الأسد من النباتات الطفيلية .

جفنة : ܓܦܬܐ gfèto أصلها ܓܦܢܬܐ gfènto شجرة الكرمة وجمعها الجفن وفي سفر العدد ٦ : ٤ «من جفنة الخمر» .

مَجلب : ܡܓܠܒܐ ، ܡܓܠܒܐ Maghlobo , Maghlbo سوط ، مقرعة ، ولم ترد في المصباح وأقرب الموارد[1] .

جلّام : ܓܘܠܡܐ guoloumo جزّاز الصوف ، مانع ، والفعل ܓܠܡ gulam وكذا بالعربية ، ولم يرد الجلّام بالفتح لكن بالضم ومدلوله ، التيوس المحلوقة .

جِليان : ܓܠܝܢܐ guèliono رؤيا ، سريانية مسيحية يستعملها معظم النصارى لسفر يوحنا الرسول .

جَمّ : ܓܡ و ܐܓܡ aguème , guame شذّب ، قلّم ، كسح ، استأصل — لم يرد في دواوين اللغة بهذا المعنى — فقول ابي حاتم «وناس يُجمّون العنب كل عام ولا يغرسون» يريد انهم يشذّبون جفَان الكرم ويكسحونها كما نقل الأستاذ سليم الجندي في رسالة الكرم (مجلة المجمع مج ١٠ ص ٣٠٨) أخذه من السريانية ولا يزال فلاحو حمص ولبنان وغيرهم يتداولون هذه اللفظة .

جُمَّل : حبل السفينة ܓܡܠܐ guamlo .

جَمَلون : بيت مقبب ومسنّم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله ، سريانية ܓܡܠܘܢܐ معناها جمل صغير ، فصيل guamlouno .

مِجَنّ : ترس مستدير ܡܓܢܐ ، ܡܓܢܐ والكسر أفصح , Mguano

(١) الجلجلة ، الجمجمة ، الرأس ، كلمة عبرية ومن العبرية اخذها السريان ، ولم يفصح اقرب الموارد بعجمتها .

Mguéno وفي سفر صموئيل الثاني ١ : ٢١ «مجنّ الجبابرة مجنّ شاءول» عندنا هو حرف سرياني .

الجَنَّة : ܓܢܬܐ guantho الحديقة ذات الشجر وقيل ذات النخل ، وورد في سفر الجامعة ٢ : ٥ «عملت لنفسي جنات وفراديس» وفي الحديث «قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين» (جس ٣١٤) وقال حسان ابن ثابت :

وإنّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحِّدٍ ... جِنانٌ من الفردوسِ فيها يخلَّدُ

(التاج ٤ : ٥٦) وهذه بمعناها الديني ، الفردوس الأرضي والسموي .

المجانسة : والتجنيس : قال صاحب المزهر ١ : ١٧٨ «زعم ابن دريد ان الأصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولَّد ، وكذا في ذيل الفصيح للموفق عبد اللطيف البغدادي ، قال الأصمعي : قول الناس المجانسة والتجنيس مولد وليس من كلام العرب . ورده صاحب القاموس بان الأصمعي واضع كتاب الأجناس في اللغة ، وهو أول من جاء بهذا اللقب كذا اه يريد الحرف . ومثله قال صاحب القاموس ٢ : ٢٠٥ [1] أما مؤلف المصباح ١ : ١٧٥ فأيّد انكار الأصمعي هذا الاستعمال وقوله هو كلام المولدين وليس بعربي . وعندنا ان المادة سريانية ، الاسم ܓܢܣܐ جنس والفعل ܓܢܣ جنَّس ، وجانس ܐܬܓܢܣ Ethguanace , guanèce , guenço وورد في سفر التكوين ١ : ١١ «لتنبتن الأرض عشباً .. وشجراً مثمراً يعمل ثمراً كجنسه» وكذا في النسخة السريانية . وقال بعضهم ان أصل اللفظة يوناني génos [2] (مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٣ ص ٣٤٢) وعلى كل حال ان العرب عربوه من السريانية . وجاء في الآثار الباقية للبيروني ص ٥٤ «فاذا جنَّسنا هذا الدور» وفي ص ٥١ «جنِّس الفضل بين سنة الروم وسنة الشمس» .

(١) ان استعمال الأصمعي هذا الحرف اذ لم يجد له في لغته مرادفا يدلوله لا ينفي قوله انه مولد ليس بعربي ، واذا كان القرآن قد اشتمل على الفاظ اعجمية فما ظنك بالأصمعي وأضرابه ؟

(٢) وفي اللاتينية genus ومنه أخذت الفرنسية كلمة genre .

جوّ البيت : داخله ، لغة شامية (الجمهرة ١ : ٥٦) وفي التاج : الجوّ داخل البيت وبطنه ، لغة شامية ، وكذا كل شيء وهي الجوّة كجوّانية والألف والنون زائدتان للتأكيد . وفي حديث سلمان ، ان لكل امرئ جوانيّاً وبرانيّاً فمن أصلح جوانيّه أصلح الله برّانيَه . قال ابن الأثير أي باطناً وظاهراً وسراً وعلانيةً . وفي أقرب الموارد : الجوّاني الداخل منسوب الى الجوّ نسبة شاذة وهو نقيض البرّاني . قلنا المادة سريانية ܓܰܘܳܐ gawo داخل باطن و ܓܰܘܳܝܳܐ gawoyo داخلي والفعل ܓܰܘܺܝ و ܐܰܓܘܺܝ agwi , gawi ادخل ، ومنه ܓܘܳܝܳܐ gwoio جوف حشى .

الجوذياء : ووردت أيضاً بالدال المهملة : كساء مدرعة من صوف . قال الجواليقي ص ١١١ الجوذياء بالنبطية أو الفارسية الكساء . وفي فائت ذيل أقرب الموارد ص ٤٤٥ جودي سمّور أي جبّة سمّور قال ابو زيد الطائي يذكر الأسد :

حتى اذا ما رأى الأبصار قد غفلت واجتاب من ظلمة جوديّ سمّورِ

لسواد وبره (نقلاً عن اللسان في ترجمة سمر) قلنا هو حرف سرياني : ܓܘܽܕܺܝܬܳܐ ، ܓܘܽܕܝܳܐ ، ܓܘܽܕܳܝܳܐ gouditho , goudio , guodoio

جهنم : قال الشرتوني ١ : ١٤٧ دار العقاب (الأبدي) بعد الموت . قال صاحب الكليات : جهنم قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية أصلها « كهنّام » وعن صاحب الكليات نقل السيوطي في « الاتقان » وعندنا هي لفظة ارامية قديمة ܓܺܝܗܢܳܐ guihano وفي انجيل متى ٥ : ٢٢ « يكون مستوجباً نار جهنم »(١)

جيّار : حجر الكلس ، الصاروج ܓܰܝܪܳܐ gairo والجير : الجص والفعل ܐܰܓܺܝܪ aguir كلّس ، طلى بالكلس .

(١) يستدرك على الفيروزابادي في قوله في جهنم « ركيّة جهنّام وجهنم بعيدة القعر وبه سمّيت جهنم اعاذنا الله منها » انه تعريف مغلوط فيه .

جيجل ܓܺܝܓܠܐ guighlo كلمة سريانية معناها اللفظي : عجلة بكرة دائرة ، كُرَة ، فَلَك ، والاصطلاحي جدول حساب السنة وسماه البيروني الدَّور قال «وقد ذكرنا الحدود التي فيها يدور فصح اليهود في ما تقدم ، ولكن النصارى لم توافقهم فيها ولا في أوائل الجياجل ، والجيجل هو الدَّور معرّب من السريانية ، لأنه غيغل (كذا وصوابه كيغل بالجيم المصرية) ومعناه ومعنى المحزور واحد لكن الأليق أن نذكر عند أهل كل طبقة ما هم عليه من المواضعات» الآثار الباقية ص ٣٠٢ ثم أكثر من هذه اللفظة وقال ص ٣١٤ «فمن أراد العمل به أخذ سنيّ الاسكندر مع المنكسرة وجعلها جياجل شمسية» والدَّور والمحزور فضلاً عن الجيجل خلت منها دواوين اللغة .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

المستعربون من علماء المشرقيات

جرى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب ان يطلقوا اسم المستشرقين على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ، وأطلقوا اسم (الاستشراق) على عملهم هذا .

ولما كان الاستشراق واسع المدى متشعب المقاصد قضت الحال بان يقال لمن يعنون خاصة بدراسة مدنية العرب والاسلام (المستعربون) تمييزاً لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه .

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني أولاً وانقلب بعد الى عامل مدني . وكان سبق أن بعض ملوك اوربا وباباواتها اخذوا العربية عن علماء الأندلس وصقلية وتعلم امراء الصليبيين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام أيام غزواتهم الطويلة .

ولما قام الباباوات بانشاء الرهبنات لبثّ الدعوة الدينية في الشرق بدا لهم ان يعلموا الرهبان لغاته ولا سيما العربية وبعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية وهذا لتفهم العهد العتيق فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برياسة البابا اكلمنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وصملنكة اي في عواصم العلم في فرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا يومئذ دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية . وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا سبقت فأنشأت سنة ١٢٢٠ دروساً عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت أول مدرسة عربية في اشبيلية من أرض الأندلس .

وظل الاستشراق العربي في الغرب ضعيف الأثر الى القرن الثامن عشر وما قوي الا بقوة الاستعمار وفي غضون تلك الحقبة دخل في طور العلوم المنظمة ،

وقضت بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى على عمالها في بلاد العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلموها من أبنائها أكثر عدداً من غيرهم من الأمم لأن من طبع الانكليزي المتانة في الصناعات وما خرج الاستعمار عن كونه صناعة أيضاً واعداد المعدات لاتقانها ما أمكن · وأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق يدرس فيها القناصل والتجار وحذت فرنسا حذوها فأنشأت مدرسة اللغات الشرقية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ وشادت ألمانيا مثلها في برلين سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وايطاليا وانكلترا فأسست كل منها مدرسة لمثل هذا الغرض ·

وكانت جامعات ألمانيا تدرس العربية منذ أكثر من ثلثمائة سنة وكذلك بعض جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى · وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة بوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة ومنهم تعلمنا هذه الطريقة واعتادوا ان يشرحوا غوامضها بلغة الناشر او باللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها الى عهد قريب فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في ايطاليا وهولاندة كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة ويكفي أن نقول ان اوربا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة الى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة ومن تصفح معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن الهولندية بلغات العلم الثلاث (الانكليزية والألمانية والفرنسية) يتضح له مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية وينجلي لعينيه ما وصلوا اليه ببحثهم واخصائهم في اللغات والعلوم · هذا الى

مئات من كتب أجدادنا نشروها وما قطعت اطراد صدورها الا الحرب الأخيرة ·

ولقد أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وفي أوربا الى بعض المستعربين من أمم اوربا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم فعلى من ماتوا الرحمة وعلى الأحياء منهم السلام ·

حداني على معالجة هذا الموضوع وعلى الاشادة بمن لقيتهم من المستعربين حديث وقع لي منذ سنين مع الأستاذ حافظ عامر بك من رجال السلك السياسي المصري وطلب اليّ لما تقوض المجلس ان أكتب نبذة فيمن عرفت من المستعربين فاعتذرت بأن المواد التي لدي عنهم لا يتألف منها مبحث فقال رحمه الله يكفي أن تدون ما على خاطرك منه فطلاب الفوائد يستفيدون منه على كل حال ·

وبعد فلا بد لي قبل ان أشرع في الكلام على من عرفت ممن يعنينا أمرهم ان أشير الى ان أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل اليه أيديهم ويهديهم اليه اطلاعهم ، ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبه نبذته دولته فلا يتوقعن اذاً من مستشرق ان يخدم غير أمته ولهم المعذرة في ذلك · اما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم ان يخدموا آدابنا بامانة لا يتخذونها سلماً الى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة الى اغتصاب حقوقنا في الحياة على نحو ما فعل لامنس البلجيكي ومرجليوث الانكليزي وكراتشقوفسكي الرومي وهارتمان الألماني وكايتاني الايطالي مع اختلاف بينهم في مقدار الطعن والداعي الذي ساق اليه · والأب لامنس سامحه الله كان أكثرهم تعصباً علينا لأن حياته على ما يظهر كانت متوقفة على هذه المطاعن حتى لقد سماه علماء الافرنج المؤلف المتحزب (L'historien partial) ·

أول من عرفت من هؤلاء المستشرقين المستعربين من الفرنسيين دوسو وماسينيون

وكي ومالزاك . جاء الأول الى الديار الشامية يكشف عن آثار بلاد النصيرية (العلويين) وجبل الدروز والصفا واللجاة وقد ألف بضعة كتب في لغته بآثار هذه الأقاليم الشامية وعرض لتاريخها ووصف آثارها وظل يخدم هذا العلم باخلاص ، ومقامه عظيم بين علماء الآثار وأمناء متحف اللوفر في باريز وأصدر مجلة سيريا (Syria) ملأها بتحقيقاته وكان خير صلة بين بلاده وبلادنا لأنه لم يتدخل في شيء اسمه سياسة ، صرف جل اهتمامه لعلمه ولم يخلط فيه غيره . ومن أهم ما كتب (طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى) و (العرب قبل الاسلام) وهو فيما أعلم لم يكتب بالعربية بل أخذ من نصوصها واستعملها في تآليفه .

أما المستعرب الثاني الأستاذ ماسينيون فانه انقطع الى الأبحاث الاسلامية منذ نشأته وقال لي ان العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله كان له أعظم الفضل عليه بارجاعه من الالحاد الى حظيرة الدين . وأنا أقول بل زاد على ذلك وأصبح متصوفاً وأذكر اني دعوته في احدى رحلاتي الى باريز لنشهد التمثيل ونتعشى معاً فقال العشاء أمره سهل ولكن مَنْ للمتصوف أن يشهد التمثيل . وهو صادق في قوله فانه صرف جانباً عظيماً من عمره في نشر كتب التصوف فنشر تآليف الحلاج وأخباره وديوانه بالعربية كما نشر الأمثال البغدادية للطالقاني وتاريخ الاصطلاحات الفلسفية . ومعظم المقالات التي لها علاقة بالتصوف الاسلامي في معلمة الاسلام على عهدها الأخير هي من قلمه وهو لعهدنا المرجع بين المستعربين في مسائل التصوف في الغرب ، اذا عزّ على أحد المشتغلين كشف غامض وحل مسألة صوفية فليس له الا باب ماسينيون لأخذ الجواب . وهو اليوم عضو في عدة مجامع منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي والجمعية الآسياوية وهو أستاذ في كوليج دي فرانس وكتب مئات من الأبحاث والمقالات في المجلات الاسلامية والشرقية بالفرنسية ومنها المجلة الآسياوية ومجلة العلم الاسلامي ومجلة الدروس الاسلامية وهو يعاون طلاب العرب في باريز ويوجههم ويرشدهم .

أما الاستاذان كي ومالزاك فشغلا بمهام السياسة وأخذ وقتها ما هما بسبيله من مصالح دولتهما وطافا معظم بلاد العرب والفرس في السلك القنصلي وانتفعا بمعرفة العربية والفارسية في الوظائف التي شغلاها وهيأت لها سبيل الانتفاع في عملها ومعرفة هذا الشرق القريب . ويليهما أستاذان متقدمان على هذين القنصلين في العمر وهما السيدان اوتافي وبيات فانهما كانا يجيدان العربية ويكتبانها كتابة سلسة صحيحة وقد توليا شؤون دولتهما السياسية والسيد اوتافي كان استاذه في العربية السيد برغش امير زنجبار وكان قضى فيها أعواماً طويلة قنصلاً لفرنسا وكلاهما كان معجباً بالمدنية الاسلامية يصرحان بذلك أمام الموافق والمخالف وهما آية في معرفة تاريخ العرب معرفة ثاقبة ويعرفان الأقطار العربية كما يعرفها أهلها ، ولا أعرف ان كان اتسع لهما الوقت فألفا في العربية أو الفرنسية أو نشرا بعض كتبها العلمية والأدبية .

وعرفت السيد هوار مدرس العربية بمدرسة اللغات الشرقية في باريز وناشر كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل وغير ذلك وله تاريخ العرب بالفرنسية وعدة مقالات في معلمة الاسلام ومعلوماته مثل معلومات غودفروا ديومبين ليست واسعة كثيراً او ليس فيها شيء جديد ولا يعد كصاحبه من اللامعين المبرزين كما كان مثلها بل كان هذا أقل بضاعة منهما السيد شاتيليه صاحب مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وأستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس ، وعرفت المستعرب مرسيه ناشر كتاب حلية الفرسان وعرفت آمار ناشر مقدمة الوافي بالوفيات وله مقالات كثيرة في مجلات المشرقيات كما صحبت المسيو فران أحد مستعربيهم وناشر كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح البصري وهو من المعجبين بمدنية العرب خدمها في نطاق اختصاصه وكان يجهر بذلك في خطبه وكتاباته .

ومن المستعربين الفرنسيين الذين عرفتهم ليفي بروفنسال وقد امتاز بأبحاثه في

الأندلس ونشر عدة كتب ممتعة في تاريخها بلغته وهو الذي أعد الذخيرة لابن بسام للنشر وتنشرها الآن جامعة فؤاد الأول وهو المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس وما يتعلق به وقد تمم في معلمة الاسلام ما كان يعالجه من مقالات بلاد الاندلس ورجالها المستعرب الالماني سيبولد ·

وممن عرفتهم من أبناء هذه الأمة السيد بلاشير المتخصص في شعر المتنبي والسيد بريز العالم بالأندلسيات والصدر المتقدم في البلاغة العربية وصاحب الجولات الموفقة في آدابها وحضارتها ·

ومن أهم رجال الاستعراب من الفرنسيس السيد مارسيه وهو يكتب العربية ويتكلمها كما يتكلمها أدباؤها أنفسهم ويكتبونها ويعد من مستعربي الدرجة الأولى من الأوربيين وقد نشر عدة أبحاث دلت على علو كعبه في العربية وآدابها واستفاد منه كثير من أدباء تونس ممن تخرجوا به كما استفاد طلاب الاستعراب من أبناء أمته · وعرفت استاذاً مستعرباً صرف معظم حياته في مراكش وهو السيد ميشو بللير عاش عيشة المراكشيين وتزوج فيهم وله مقالات في مجلات المستشرقين · كما نشأت لي صداقة مع السيد بوفا وقد نشر أشياء كثيرة بالعربية وأكثر من ذلك بالفرنسية مأخوذاً من المصادر العربية ولا أبحاث كثيرة لم تشتهر لأنها قليلة الجرم وان كانت عظيمة الفائدة · ويلحق بالفرنسيين السيد مونتيه السويسري أستاذ العربية في جامعة جنيف وهو الذي نقل القرآن الكريم الى الفرنسية وله أبحاث جليلة في الاسلام ومحاضرات وقد ألف كتاب (الاسلام) قلت فيه ان ما ينشره الأستاذ مونتيه الحين بعد الآخر في الاسلام يليق بعالم القرن العشرين لأنه يكتب وقد نزع منه التقاليد القديمة والتعصب الذي يتلبس به طوعاً او كرهاً من نشأوا في الغرب ولم يخالطوا أهل الاسلام ولا درسوا أصوله وقواعده وتاريخه الا دراسة متقزز متحرز ومما قاله في الرسول في هذا الكتاب : انه كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ذلك لأنه ندر مثله في المصلحين

من عرفت حياتهم بالتفصيل وان ما قام به لاصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية . وقال ان الاسلام يسير سيراً حسناً في نشوئه خلافاً لما يدعيه بعضهم وان الواجب على المسلمين ان يحتفظوا لقيام أمرهم بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطي المسكرات .

هؤلاء معظم من عرفت من الفرنسيس أما الانكليز والأميركان فعرفت بضعة منهم من العيار العالي فمن أوائلهم كرنيليوس فانديك وابنه ادوار فانديك فإن كرنيليوس خدم لغتنا ونشر العلم في ربوعنا بما كتب بالعربية من أصناف العلوم كالطب والطبيعة والجغرافيا وقد أخلص في خدمة العرب حتى إنه استقال من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت لما أرادت عمدة الجامعة ان تنقل التعليم من العربية الى الانكليزية قائلاً اننا جئنا هذه الديار لنخدمها بلغتها لا بلغتنا . وتآليفه على قدمها ما زالت متداولة يستفاد منها وكذلك ابنه ادوارد ألف في علم الكتب العربية كتاباً جيداً وله غيره ودرس الانكليزية في المدارس المصرية زمناً . ومن أعظم المستعربين من الانكليز صديقي العلامة براون أستاذ العربية في جامعة كمبريدج فانه نشر كتباً بالعربية وله بالانكليزية تاريخ آداب اللغة الفارسية وهو من أمتع ما كتب في موضوعه على ما قال لي من قرأه بلغته من أحبابي ومن رأيه فيه خطاباً لمن بهرتهم الآداب الفارسية : ان قصيدة واحدة من المعلقات السبع خير مما قاله شعراء الفرس . وكان في الحقيقة المدافع عن مدنية الفرس والعرب والمحامي المتطوع في خدمة قضية العرب والفرس في الغرب ، أخذ كثيراً عن الأستاذ الامام محمد عبده وله أياد بيض على العرب وهو ممن امتازوا بمعرفة الاسلام معرفة ثاقبة ، وتعمق فيه وحنا عليه وعلى أهله مثل رصيفه صديقي العلامة ارنولد مدرس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن وناشر كتاب المنية والأمل للمرتضى في ذكر المعتزلة وهو امام في الأبحاث الاسلامية لم تعدّ عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه ولا سيما في معلمة الاسلام وكنا في

مصر نتكلم بالعربية وهو في سن الشباب فلما عدنا واجتمعنا في انكلترا تعذر عليه النطق بالعربية وآثر ان نتكلم بالفرنسية ومنهم الأستاذ بفن مدرس العربية في جامعة كمبريدج وناشر مناقضات جرير والفرزدق في بضعة مجلدات كبيرة وفيها من التحقيق اللغوي ما يدهش شهدت له بتبحره في أدب هذا اللسان وقوة ملكته في النقد حتى أذكر اني ذكرت له اعجابي بوستنفيلد ناشر معجم البلدان لياقوت وعشرات غيره من كتب العربية فقال لي ان التحقيق يعزّ في الكتب التي نشرها وأخرج لي جزءاً من هذا المعجم صحح فيه أماكن كثيرة في كل صفحة فاضطررت الى الاعتراف بخطأي ٠

ومن مستعربي البريطانيين الأستاذ مرجليوث أستاذ العربية في جامعة اكسفورد وكان يكتب العربية كتابة سلسة تقل فيها التراكيب التي تشعر بعجمته وقد نشر من كتب سلفنا الصالح معجم الأدباء لياقوت في بضعة مجلدات والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي وديوان التعاويذي ورسائل المعري وغير ذلك وكان مقدماً في موضوعه ، وسبب اشتهاره بين أبناء صناعته انه تكلم في الاسلام بما لا يقره عليه العارفون فحظي عند العامة ونزلت منزلته عند الخاصة ٠ وخليفته في اكسفورد اليوم الأستاذ جيب وهو رصيفي في مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي يكتب العربية مثلنا وقد كتب اشياء كثيرة في الاسلام بلغته وهو يعد كتباً عربية أصلية لنشرها بلغتها التي كتبت بها ٠

ومن المستعربين الاميركان المستر وطسون رئيس الجامعة الاميركية في القاهرة وله تلاميذ كثيرون وأصدقاء غير قليلين في مصر كتب اليّ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٤ وكانت الجامعة الأميركية في محنة اذ كثر التقول عليها في مصر ورموها بأنها جامعة تبشير لا جامعة علم وكنت متعاقداً معها على القاء محاضرات وأردت على ان ارجع عن تعاقدي فأبيت الا القاءها ، قال : لعل اتصالكم بزملائي اعضاء مجلس ادارة الجامعة قد أطلعكم على رغبتنا الشديدة في خدمة مصر والعالم العربي

ما وسعنا ذلك وانا لنعد معهدنا جسر صداقة بين العالم العربي والعالم الغربي يشاد على الرغبة الخالصة في أداء الخدمات المتبادلة بين العالمين فلئن كان في الغرب ما يستفيد منه الشرق فأن في الشرق ما هو خليق ان ينتفع به الغرب • ولا ريب في أنكم تبينتم من أناقة بناء قاعتنا الكبرى والصغرى مبلغ عنايتنا وتقديرنا للفن العربي الجميل وفضلاً عن هذه الخدمات بين الشرق والغرب فان مهمتنا الكبرى هي العمل على حسن التفاهم بين هذين العالمين فهنالك من الأسباب ما دعا الى الكراهية والنفور بينهما والصلة التي تجتمع عندها الشعوب والجماعات بحكم الثقافات هي المحبة والوئام •

ومن مستعربي الأميركان السيد الجليل دودج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت فانه ووالده من قبله قد أسديا الى الأمة العربية يداً لا تنسى على مر السنين وتخرج على يديه وفي جامعته مئات من أبنائنا من المصريين والشاميين والعراقيين ولم تبق الأمور الادارية للسيد دودج وقتاً يصرفه في الأبحاث التي غلبت عليه وهو آية في فعل الخير عرف بها زمن الحرب العالمية الأولى فأنفق كل ما عنده على الفقراء ثم باع ما أمكنه بيعه ورهن أملاك جامعته وأخذ الفضل من ذلك فصرفه على اطعام الجياع وهذا عمل فريد قل ان عمل مثله رجل من رجال الدين ، فهو كوطسون قسيس راق خدم دينه وأمته وخدم الانسانية •

ويلحق بمستعربي الانكلوسكسونيين مستعرب آخر عنيت به صديقي العلامة كرينكو ولد في قرية من قرى شمالي المانيا وأتقن في المدارس الثانوية اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ثم درس الاردية والفارسية وسكن في انكلترا وتجنس بالجنسية الانكليزية وتزوج سيدة انكليزية وكان له في الحرب الماضية معمل اصنع الأقمشة في لستر يشتغل فيه أكثر من الف عامل وعاملة فلما نزلت الأسعار عقبى الهدنة وكان فقد ابنه الوحيد في الحرب اثر ذلك في صحته وحمل الى المستشفى ولما خرج منه كان افلس من ابن المزلق

فجاءه كتاب من الهند يطلب منه بعض أصدقائه في حيدر آباد الدكن ان ينسخ لهم ما يشاء من كتب العرب المحفوظة في المتحف البريطاني مقابل ثلاثمائة جنيه في السنة ، قال فأنا الآن أعيش بفضل لغتكم . درس كرينكو العربية بدون معلم على الكبر وهو يكتبها كتابة صحيحة الا انه يجد صعوبة في التخاطب بها لقلة من لقيهم من أبناء العرب . كتب لي مرة : وأنت تعلم اني تعلمت اللغة العربية والفارسية والهندية بلا معلم لبعدي في شبيبتي عمن يعلم شيئاً من هذه اللغات فاعتمدت على الكتب فقط الى ان ورد صديقنا كاظم الدجيلي (الى بريطانيا) ومنه سمعت أول كلمة عربية ثم سألني صديقي عماد الملك وزير سمو النظام سلطان حيدرآباد أن أعاون دائرة المعارف التي أنشأها هو في عاصمة حيدر آباد لاحياء العلوم العربية في الهند مخافة خمولها فأول كتاب هذبته كان جمهرة اللغة لابن دريد في ثلاث مجلدات مع فهرسته في مجلد ضخم ...

يحسن العلامة كرينكو لغات اوربا بأسرها ويتكلم بها بسهولة ويعرف من لغات الشرق العربية والفارسية والاردية ومن لغات الشرق القديمة طرفاً من الحميرية والتركية والعبرية والارامية وهو شاعر بالألمانية لغته الأصلية . وما كان يفارق المطالعة طول حياته وما منعه معمله عن الانصراف الى التأليف أوقات الفراغ وقلت له في اكسفورد ، وانا أدهش من كتاب ضخم لابن قتيبة في الشعر أرانيه وقد صححه وعلق عليه حواشي مفيدة ، ومتى أنجزت كل ذلك يا سيدي وأنت رجل صناعة فقال كنت في بعض أيام الآحاد أترك امرأتي تتنزه وحدها وألزم البيت فأكتب وأصحح وأعلق واذا نجوت ساعات قليلة في اليوم من حسابات المصنع انقلبت نحو دفاتري وكتبي .

وقد نشر السيد كرينكو عشرات من الكتب والرسائل والمقالات بالعربية والألمانية والانكليزية ما لو نشر بعضه مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخره فما نشر شعر ابي دهبل الجمحي وقصيدتان لمزاحم العقيلي وطبقات النحاة

لأبي بكر الزبيدي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والمجتبى لأبي بكر بن دريد ابن عبد العزيز العجلي والحارث بن حلزة اليشكري وديوان طفيل الغنوي وكتاب الجمهرة (الذي تقدم ذكره) وتنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شريَة والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (مع الفهارس التي أبى الطابع نشرها اقتصاداً) وهو في اربع مجلدات والجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني والمنتظم لابن الجوزي (اربع مجلدات) والمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني ومعاني الشعر الكبير لابن قتيبة وأخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب الأفعال لابن القطاع وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه وكتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم وهو اليوم يعد كتباً للطبع من تراث العرب العظيم فله المنة علينا باحياء هذه المجموعة العظيمة من كتب أسلافنا .

أحب الأستاذ كرينكو العرب والاسلام محبة لا ترجى الا من العريق فيهما ، يتعصب للعرب على سائر أمم الاسلام من الفرس والترك والهند ويعتقد (كما كتب لي في ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥) ان زوال الدولة العربية اعني خلافة بني أمية وانتقال مركز الاسلام من دمشق الى العراق وظهور الفرس على العرب كان أول سبب في الحيلولة دون انتشار الاسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي أي في اوربا وان الدولة العباسية قام بنيانها على دمن الدولة الأموية وان دخول الفرس في المناصب العاليه أدخل الغش والخيانة في الأعمال المالية وما كان الخلفاء الا ما ندر يفكرون في شيء من أعمال الشام ومصر (ولا أذكر ما وراءها من البلاد مثل افريقية والمغرب والأندلس) اللهم الا ما كان من نقل أموال الخراج الى العراق لشراء الجواري والجواهر واعطاء الجوائز للمغنين والشعراء ومن ماثلهم . ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت ان جميع خلفاء بني أمية سوى

مروان بن محمد آخر ملوكهم كانوا ابناء حرائر وبالعكس كان خلفاء بني العباس فان اكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من غير بلاد اسلامية · وآفة ثانية وهي جلب الغلمان الأتراك الى بغداد ليجعلوا منهم عمداً للدولة فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم في أقل من قرن · وآفة ثالثة وهي ما كان من الحروب التي نشأت بين أهل السنة والشيعة وظلت متصلة الى زماننا هذا · وقد شاهدت ما غمني في بلاد الهند وهنا في انكلترا عندما عيدنا عيد الفطر فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف امام سني المذهب · وكل هذا مما يهين اهل الاسلام في عيون الذين لا يعتقدونه · ويضاف الى كل هذه الآفات وهو أعظمها في خمول الأمم الاسلامية استنجاد السلاطين والأمراء في حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم ، وأول من ارتكب هذا الاثم خلفاء العبيديين في مصر عند استيلاء الصليبيين على الشام · قال ولو كتبت الأسبوع كله لما أتيت على آخر براهيني · ورأى ان على أبناء العرب اليوم ان يتحدوا في منازعهم وينزلوا عن الجدال في تحصيل الحرية الشاملة ويطبعوا في قلوبهم المثل الانكليزي : ان ارحاء الله تعالى اذا طحنت ببطء فهي تطحن الجيد ·

وبعد فان من المتعذر الآن ان نلم بسيرة هذا المستعرب من عامة أطرافها فهو الى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع في خدمة الاسلام الصحيح والحضارة العربية · هداه البحث الى أمور نحن أبناء هذه الحضارة كنا غافلين عنها فقد رد مثلاً على من زعم أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وهي مما يكثر بين الشيعة وقال لو فرضنا انهم كتبوها فانهم لم يكتبوها بالخط الكوفي بل بالخط المكي القديم الذي هو الخط المعتاد الآن · وفي رأيه ان الخط الكوفي من اختراع مسلمة النصارى من الشاميين · وكتب لي مرة انه لا يعتمد على مؤرخي الفرس لأنهم يخلطون ويخبطون خبط عشواء · حدثني صديقي الأستاذ خليل مردم بك أنه كان يسمر

عند الأستاذ كرينكو فكان في جملة ما تحدث به في تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان من أمره مع النساء وما عاملهن به وما منحهن الاسلام من الحقوق مما لم تمط مثله أمة قبل العرب وبحث في علاقة رسول الله مع أزواجه ولا سيما مع عائشة ام المؤمنين · قال وما زال يتدرج في حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة · فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة · فقال الأستاذ كرينكو اني أتعمد اسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل ما في الاسلام من محاسن ·

والأستاذ ليس له ارتباط بجامعة ولا بجمعية وكل ما فرح به ان اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فأكبر هذا التنويه به وعده فخراً له · كما كان من أكثر من اختارهم هذا المجمع أعضاء مراسلين له فانهم أظهروا في كل فرصة تفاخرهم بانضمامهم الينا وعدونا وعددناهم كأننا أبناء اسرة واحدة ·

ومن مستعربي الاستراليين الأستاذ جفري نشر كتاب المصاحف للسجستاني وهو معروف في مصر كان يدرس في الجامعة الأميركية بالقاهرة · ومن اكبر المستعربين من الطليان الأمير كايتاني فانه تفضل في سنة ١٩١٣ وقبلني في قصره في رومية أبحث في المصورات التي صورها عن المخطوطات العربية في تاريخ الاسلام ولقد قضيت في هذه المهمة ثلاثين يوماً رأيت منه عطفاً كبيراً واطلاعاً واسعاً وانقلبت من لدنه بمذكرات ثمينة استعنت بها على تأليف كتابي (خطط الشام) وهو يحسن سبع لغات ومنها العربية والفارسية وقد وضع بالايطالية كتابه تاريخ الاسلام (آنالي دا لاسلام) العظيم طبع منه بالايطالية ستة مجلدات ضخمة وكان يرجو ان يفسح الله في أجله ليكمل القرن الأول للاسلام فقط في خمسة وعشرين مجلداً وما كان يطبع من تاريخه اكثر من مئتين وخمسين نسخة وقد جعل شعاره في كتبه قول الشاعر العربي :

كفاف عيش كفاني ذلّ مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

يقول هذا وثروته قبل الحرب العالمية الأولى كانت تقدر بخمسة ملايين جنيه ايطالي ذهبي عدا ثروة الأميرة زوجته ، كان ينفق منها على العلم فقط كل سنة عشرة آلاف جنيه انكليزي ، ونشر كتاب تجارب الأمم لمسكويه وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين الف عالم وأديب من المسلمين في الأندلس وهي جذاذات جمعها طول حياته المستشرق الاسباني ريبرا . ومن كبار مستعربيهم السنيور جويدي وهو معروف في مصر وكان أستاذاً في الجامعة القديمة وحاضر في أدب الجغرافيا والتاريخ فأجاد من وراء الغاية وله كتب عظيمة في اللغات السامية ولا سيما الحبشية والامحرية وكان يعد من مستشرقي الطبقة الأولى في العرب كتب اليّ مرة :

وان كان شاعركم العربي قال :

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

فأنا جاوزت حد الثمانين ومازلت أكتب وأؤلف وكان لما كتب هذا في الرابعة والثمانين . نشر جويدي من كتبنا شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الأفعال لابن قوطية والاستدراك لأبي بكر الزبيدي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول بن اوس ومعاني النفس ومقالة في اسماء الله الحسنى لكاتب اسرائيلي قديم وغير ذلك عدا المقالات بالايطالية وغيرها من لغات الغرب . وابنه ميكل انجلو مستعرب مثل أبيه وكان يدرس في جامعة فؤاد الأول قبل الحرب الأخيرة . وممن عرفه العلماء والأدباء في مصر الأستاذ غريفيني ناشر فقه زيد بن علي وديوان الأخطل والطبقات لأبي بكر الزبيدي ولمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية لعثمان بن ابراهيم النابلسي الى غير ذلك من النصوص العربية ومنها قصائد لبعض شعراء الجاهلية .

ومن الايطاليين الممتازين بين المستعربين صديقي العلامة نللينو عضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي ومدير المعلمة الايطالية (دائرة المعارف

والموسوعات) وصاحب المقالات الممتعة في معلمة الاسلام الى غير ذلك من التآليف ومنها تاريخ علم الفلك عند العرب القاها محاضرات على تلاميذ الجامعة القديمة بالقاهرة وقد نشر كثيراً من كتب العرب منها زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد وكان يكتب ويخطب بالعربية ثم انقطع عن معاناة العربية مدة فصار يسهل عليه ان يكتب بالفرنسية وصعبت عليه الكتابة بالعربية وكان يحب الشرق وأهله وقد امتاز بمعرفة بلاد شمالي افريقية وجغرافيتها وآثارها وتاريخها ويعد من أعظم علماء المشرقيات عامة ٠

وعرفت من مستعربي الألمان والهولنديين والتشكيين والدانيمركيين والسويديين والاسبانيين والبولونيين والمجريين جملة صالحة فمن الألمان هرزفلد مكتشف آثار السامانيين وآثار سر من رأى ومنهم هوروفيتس ناشر الهاشميات للكميت درس العربية سنين طويلة في جامعة اليغار في الهند وكثير من رجال القضاء وحملة العلم من الهنود هم من تلامذته ومنهم ريتر ناشر كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي ومنهم برتزل نشر طبقات القراء لابن الجزري مع برجستراز ٠ ونشر برتزل التيسير في القراآت العشر لأبي عمرو الداني والمقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط له أيضاً ٠ ونشر الدكتور مايرهوف مقالات في العين لحنين بن اسحق ٠ ومن أعظم من عرفتهم من مستعربي الألمان العلامة بروكلمان صاحب تاريخ آداب اللغة العربية بالألمانية وهو ناشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لابن الجوزي وعيون الأخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي ٠ وعرفت من الألمان هوميل وميتفوخ وهارتمان والأستاذ هوميل من أعظم المستعربين في الغرب وقد أثبت ان حمورابي صاحب القانون كان عربياً ٠ ورأيت هوميل في مونيخ وهو في الخامسة والستين يدرس لغة الجغطاي من لغات الترك القديمة وقد توفر على درس ديوان ابن قيس الرقيات سنين بأمل أن يجد فيه

اسماء بعض الألبسة عند العرب وبعد البحث الطويل ظفر بلفظين اثنين فاغتبط بهذا الاكتشاف . ومن المجريين غولد صهير نشر فضائح الباطنية للغزالي وكتاب المعمرين للسجستاني وغير ذلك وكان يعد من أكبر رجال المشرقيات في الغرب كتب مئات من الأبحاث الاسلامية بالمجرية والألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية وكان يتكلم العربية ويكتبها جيداً درسها في الأزهر . ومن الهولنديين سنوك هرغروني واراندونك وهوتسما وهذا نشر زبدة النصرة للعماد الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والأضداد لابن الأنباري وغيره من كتب العرب وكان مدير تأليف معلمة الاسلام وقال لي مرة ترى أعيش وأشهد هذه المعلمة قد تمت وظهرت للناس فمتعه الله بالحياة ورآها تامة كما أحب .

ومن الاسبانيين الأب آسين بالاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط كتب مؤلفاً ضخماً بالاسبانية أثبت فيه ان دانتي شاعر الطليان أخذ قصة المهزلة الإلهية من رسالة الغفران للمعري . ونشر آسين بالاسيوس من كتب العرب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس وغيره .

ومن السويديين سترستين من جامعة اوبسالا نشر تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من تهذيب اللغة للأزهري ومنهم بدرسن الدانيركي وسموغرجفسكي البولوني ومنهم موزل التشكي وقد قضى سنين مع قبيلة الرولا في بادية الشام رسم خلالها أحسن المصورات الجغرافية وكتب كتباً عظيمة عن اكتشافاته وكان يدعى الشيخ موسى الرويلي ورأيته في الحرب العالمية الأولى يتقلد رتبة جنرال ويصحب بعض أمراء ملوك النمسا في رحلة الى الشرق القريب .

هذا ما وعته الذاكرة ممن اجتمعت بهم وعرفتهم عن أمم وذلك بالاختلاط بهم وبقراءة كتبهم وأبحاثهم وربما فاتني ذكر بعضهم وليس المقصود استقصاء اسمائهم كلهم بل الغاية التنويه ببعض أعمالهم ورسم الخطط لمن يحب العلم للجري على آثارهم .

محمد كرد علي

ابن قيم الجوزية

ونواحي التجدد في اجتهاده

معلوم ان الأحكام الشرعية مبنية على أصول ومصادر، تسمى بالأدلة الشرعية . وهذه الأدلة نوعان، نص ورأي . فالأول، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، مقدم على الثاني، اذ لا ينظر الى تحكيم الرأي الا عند عدم النص . ويقدم في الرأي أولاً الرأي المجمع عليه عند المجتهدين في عصر من الأعصار وهو الاجماع، ثم الرأي المبني على القياس، وذلك ضمن شروط وحدود معينة .

واقد نشأ الخلاف بين المذاهب الاسلامية في اصول الاستدلال بهذه الأدلة . فكان الخلاف في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، وفي قبول الأحاديث الشريفة، وطرق تحقيقها، وفي شروط الاجماع والقياس . ثم ازداد الخلاف في المسائل التي لا دليل فيها من الأدلة الأربعة التي ذكرنا، اذ أخذت بعض المذاهب بأدلة جديدة لم تقبل بها المذاهب الأخرى، كالاستحسان عند الحنفية، والمصالح المرسلة عند المالكية او الاستصلاح عند الغزالي، والاستصحاب عند الشافعية . ولا مجال لدرس هذه الأدلة وتفصيلها في هذا المعرض . واذا أردنا ترتيب المذاهب السنية بالنسبة الى درجة توسعها في الرأي، وجب وضع المذهب الحنفي في الطرف الأول، ووضع لمذهب الحنبلي في الطرف الاخير . فلذا سمي الأول بمذهب أهل الرأي، وعدّ الثاني من مذاهب أهل الحديث، حتى ان بعض المؤرخين المتطرفين، كالطبري وابن النديم وابن عبد البر وابن قتيبة، عدوا الامام ابن حنبل من فئة المحدثين، لا من فئة المجتهدين .

ولا شك في ان الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان كان أول وأشهر من لجأ الى تحكيم العقل واعمال الرأي ، في استنباط الأحكام الشرعية ، والاستدلال بالعلل المبنية عليها . ولا شك ايضاً في ان الامام ابن حنبل اشتهر بتحرزه في الاجتهاد ، وبمحافظته على التمسك بالنصوص ، وبنفوره من الرأي .

وعلى الرغم من هذا التباين بين مؤسسي هذين المذهبين ، فان الأمر لم يدم كذلك بين المتأخرين من أتباعهما . فمنذ اواخر الدولة العباسية ، أصيبت دراسة الفقه الاسلامي بالاضمحلال بعد الازدهار ، فأجمع الفقهاء السنيون على سد باب الاجتهاد ، وعلى الاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة . ومن ثم توقف الاجتهاد ، وعم التقليد ، ونشأت البدع ، وساد الجهل والجمود .

وكان من نتيجة هذا التقليد ان تقيد المتأخرون في المذهب الحنفي ، كما في غيره من المذاهب ، باجتهاد السلف ليس في المسائل المبنية على النصوص الشرعية فحسب ، بل وفي المسائل المستنبطة بالرأي أيضاً . وهذه المسائل الأخيرة ، لما كانت أكثر عدداً في مذهب الحنفيين ، وهم أهل الرأي ، منها في المذهب الحنبلي البعيد عن الرأي ، كان التقليد عند المتأخرين من الحنفية أوسع ميداناً وأكثر ضرراً مما هو عليه عند المتأخرين من الحنابلة . بل ان هؤلاء ، لما كانوا غير مقيدين بكثير من الاجتهاد الخارج عن النص ، كان لهم من الحرية في تجديد الاجتهاد مالم يكن للمتأخرين الحنفيين . هذا الى ان النصوص المتعلقة باحكام المعاملات قليلة بالنسبة الى النصوص المتعلقة باحكام العبادات . فنتج من ذلك ان مجال التقيد بتقليد السلف كان ضئيلاً في المذهب الحنبلي في باب المعاملات الشرعية .

ويؤيد ذلك انه عندما قامت النهضة الاصلاحية ، في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ، وظهر مذهب السلفية او مذهب السلف الصالح في مصر وفي غيرها من البلاد الاسلامية والعربية ، كان لتعاليم الفقهاء الحنبليين أثر ظاهر

محسوس . فالشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية ومجدد المذهب الحنبلي في الجزيرة العربية ، والسيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم من القائمين على الحركة الاصلاحية الشرعية في مصر ، هؤلاء جميعًا دعوا الى نبذ التقليد والرجوع الى اصل الشريعة المبنية على القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومحاربة الجمود والخرافات والبدع . واستشهدوا بآراء أعلام الفقه الحنبلي ، أمثال موفق الدين بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠ هـ) ، مصنف كتاب المغني الذي هو بلا مراء من أجل كتب الفقه الاسلامي ، وتقي الدين احمد بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) صاحب الفتاوى والرسائل المشهورة ، وابن قيم الجوزية وغيرهم .

وبوجه خاص لا بد من التنويه بابن القيم . فهو شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن بكر بن ايوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ . وقد كان عالماً في الفقه والتفسير والكلام والأصول والنحو . وله مؤلفات وتصانيف قيمة عديدة . منها تهذيب سنن ابي داود وايضاح مشكلاته ، وسفر الهجرتين ، ومراحل السائرين ، والكلم الطيب وزاد المسافرين ، وزاد المعاد في هدى خير العباد ، ونقد المنقول ، وبدائع الفوائد ، والشافية الكافية ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وهادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، ونزهة المشتاقين ، وكتاب الداء والدواء ومفتاح دار السعادة ، واجتماع الجيوش الاسلامية ، وعدة الصابرين ، واغاثة اللهفان ، وكتاب الروح ، وكتاب الصراط المستقيم ، والفتح القدسي ، والتحفة الملكية . وأهم كتبه الفقهية هي بلا ريب كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين ، وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والفتاوى .

وكان ابن القيم ، كشيخه ابن تيمية وامامه ابن حنبل نفسه ، تقيًا في دينه ، جريئاً في رأيه وفكره . فلذا اضطهد كابن حنبل وابن تيمية ، وسجن في قلعة

دمشق . ولا غرو من ذلك فالاضطهاد الفكري قد أصاب غيرهم من الفقهاء ، كأبي حنيفة والسرخسي ، والشافعي وصاحبه البويطي ، ومالك وغيرهم .

والمهم ان نشير الى اجتهاد ابن القيم في مسائل المعاملات الشرعية ، والى نواحي التجدد في اجتهاده . ونحن نرى انه كان من طبقة المجتهدين في المذهب الحنبلي ، ونرى انه برهن في ذلك على نظر ثاقب وتفكير صائب ، فاعتمد على روح الشريعة الحقيقية وعلى حكمتها العادلة . فقال في بعض المسائل أقوالاً جريئة ، لم يقل بها أحد قبله ولا بعده من الفقهاء المسلمين ، وتوسع في مسائل اخرى توسعاً ، يدل على مرونة الشريعة ، وعلى مسايرتها للتطور والمدنية . فوصل بالنتيجة الى تحليلات ونظريات شبيهة بالنظريات القانونية العصرية . ونحن لا نرى مجالاً لايضاح جميع نظرياته وآرائه الفقهية . بل نكتفي على سبيل المثال بتلخيص ما قاله في بعض المسائل المهمة الحساسة ، لأجل تبيين النهج العلمي الذي اتبعه ، والنحو العادل الذي انتحاه ، ولأجل اثبات ما وصل اليه هذا الفقيه المجدد في بعض المسائل ، وهو من اتباع المذهب الحنبلي الذي اشتهر بالمحافظة الشديدة ، لم يصل اليه أتباع مدرسة أهل الرأي ولا مؤسسها الامام الأعظم .

وأهم المسائل التي أرى تلخيصها في هذا المعرض هي محاربة التقليد والجمود ، واعتماد القصد في التصرفات ، وحرية التعاقد ، ومنع الحيل في الأحكام ، واحياء أعمال الفضولي المحسن ، والمحافظة على حقوق الغرماء ، والتوسع في أصول البينات . واني اعتمد في هذا التلخيص بوجه خاص على كتاب أعلام الموقعين (طبعة ادارة الطباعة المنيرية) ، وكتاب الطرق الحكمية (مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، سنة ١٣١٧ هـ) .

محاربة التقليد والجمود

ان وجوب الاجتهاد وتحريم التقليد ليس قول ابن القيم وحده ، بل هو قول جمهور الفقهاء المسلمين . ولكن ابن القيم بحث في هذه المسألة بحثاً مستفيضاً ،

لم يسبقه اليه أحد من فقهاء المذاهب جميعاً . وقد عقد لذلك في كتاب اعلام الموقعين فصلاً كبيراً (في الجزء الثاني ص ١٢٨ — ٢٠٧) ، بعد ان تكلم قبل ذلك في القياس ، وختم كلامه بقوله : « وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد ، وذكرنا من مآخذهما وحجج اصحابها وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول ، ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها الى آخرها ، ولا يظفر به في غير هذا الكتاب » (ص ٢٠٧) . ولا شك في ان ابن القيم كان صادقاً في هذا القول .

ولقد استشهد ابن القيم بالآيات الكريمة ، وبالأحاديث الشريفة ، وبأقوال الصحابة والتابعين ، وبأصحاب المذاهب الأربعة ، وغيرهم من الأئمة والفقهاء ، للدلالة على ان « الواجب طلب الحق وبذل الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان » (ص ١٦٣) . وفوق ذلك ساق ابن القيم احدى وثمانين حجة من المنقول والمعقول ، لأجل تأييد ما ذهب اليه من بطلان التقليد .

وان التقليد الذي يحرم القول فيه والافتاء به ثلاثة أنواع ، بحسب تقسيم ابن القيم . « احدها الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء بتقليد الآباء . والثاني تقليد من لا يعلم المقلد انه اهل لأن يؤخذ بقوله . والثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد ... وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمّه وتحريمه . وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه ، فقلد فيه من هو أعلم منه ، فهذا محمود غير مذموم » (ص ١٢٨ و ١٢٩) .

وبعبارة أخرى ، فابن القيم يرى ان التقليد الأعمى باطل في الشريعة ، وان الاجتهاد واجب على كل عالم قادر عليه . ورأيه ، كما نرى ، أقرب الى روح الشريعة الحقيقية ، التي جعلت شريعة كل زمان ومكان .

وقد عقد ابن القيم أيضاً فصلاً طويلاً في تغير الفتوى واختلافها ، بحسب

تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد (الجزء الثالث ص ١ وما بعدها) ، استهله بقوله : انه « فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة ، التي في أعلى رتب المصالح ، لا تأتي به . فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد . وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلهـا » . ثم أتبع كلامه بأمثلة عديدة نكتفي بأهمها . وهي :

أولاً — ان النبي (ﷺ) شرع لأمته ايجاب انكار المنكر ليحصل بانكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله . فاذا كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض الى الله ورسوله ، فانه لا يسوغ انكاره . وأعطى ابن القيم على ذلك أمثلة . منها أنه سمع شيخه ابن تيمية يقول : « مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له انما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم » . وهذا من فروع القاعدة الكلية انه « يختار أهون الشرين » .

ثانياً — ان النبي (ﷺ) نهى ان تقطع الأيدي في الغزو ، أي نهى ان يحد السارق ، خشية ان يترتب عليه ما هو ابغض الى الله من تعطيله ، وهو ان يلحق المحدود بالمشركين وبالعدو . ولهذا قال جمهور علماء الاسلام ان الحدود لا تقام في أرض العدو ، واسقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه القطع عن السارق في عام المجاعة . وكذلك أسقط النبي (ﷺ) الحد عن المجرم بتوبته قبل القدرة عليه ، لأن هذا تاب الى الله وعاد قلبه الى الصحة ، فلم يعد من حاجه له بان يتطهر بالحد .

ثالثاً : ان النبي (ﷺ) فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر ، او صاعاً من شعير ، او صاعاً من زبيب ، او صاعاً من اقط . وهذه كانت غالب أقوات اهل المدينة . ولكن ، لما كان المقصود من ذلك سد خلة المساكين يوم العيد ، ومؤاساتهم من جنس ما يقتاته أهل بلدهم ، جاز اخراج صدقة الفطر من قوت اهل البلد او المحلة ، ولو كان ذلك من غير ما ذكر في الحديث الشريف . وكذلك نص النبي (ﷺ) في المصراة على رد صاع من تمر بدل اللبن . ومعنى المصراة بعبارة البخاري : «التي صُرّي لبنها وحقن فيه وجمع فلم يحلب اياماً» . فعند جمهور الفقهاء يجوز ، استناداً الى الحديث الشريف ، لمشتري الابل والغنم المصراة ان يفسخ البيع مع رد صاع من التمر (شرح البخاري للعيني ج ١١ ص ٣٦٩) .

وقد قال بعض الفقهاء ، ومنهم اصحاب مالك وبعض اصحاب ابن حنبل وابن القيم ، انه يجوز ان يُستبدل بصاع التمر صاعٌ من غالب قوت البلد ، لأن تعيين التمر قد ورد على انه غالب قوت المدينة .

رابعاً : اذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات في مجلس واحد ، كان الطلاق يعد واحداً في زمن النبي (ﷺ) وابي بكر وفي بدء خلافة عمر بن الخطاب . ولكن عمر رأى الناس استهانوا بهذا الأمر ، وكثر وقوعه جملة واحدة ، فرأى من المصلحة عقوبتهم وزجرهم عن هذه العادة . فأمر باعتبار هذا الطلاق بائناً ، اي ثلاثاً كما لفظ ، وقد وافقه الصحابة على ذلك . فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان والحال . ثم ان ما رآه عمر بن الخطاب حسناً في زمانه ، لم يره ابن القيم كذلك في زمانه هو ، لكثرة حوادث التحليل ، وللمفسدة التي تنتج منه . فأفتى ابن القيم بالرجوع الى السنة النبوية ، وفقاً لمبدأ تغير الفتوى بحسب الازمنة والأمكنة والأحوال والعادات .

القصد وحرية التعاقد

ان اساس الشريعة الاسلامية مبني على الحديث الشريف المتواتر : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » . وعلى هذا الأساس بنى السبكي القاعدة الكلية « الأمور بمقاصدها » (انظر شرح جمع الجوامع مع حاشية البناني ج ٢ ص ٣٧٣) ، التي نقلتها مجلة الأحكام العدلية في مادتها الثانية . ومعنى ذلك ، على الجملة ، ان حكم الفعل يرجع الى المقصود منه .

وتظهر اهمية هذه القاعدة في باب التصرفات القولية ، لا سيما في العقود . فقد جاء في المادة الثالثة من المجلة ان « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني » . وهي قاعدة منقولة عن مجامع الحقائق (انظر شرحه منافع الدقائق ص ٣٢٥) .

وعلى الرغم من هذه القاعدة الصريحة الواضحة العادلة ، فلقد كان من الفقهاء من سها عنها ، وخالفها بتفصيلات اجتهادية ، تتعلق بالألفاظ وبشروطها وما الى ذلك من فروع . فلم يرض ابن القيم عن هذه التقييدات الجامدة ، بل رجع الى روح الشريعة وحكمتها الحقيقية .

فأصاب عندما قال : « ان الاعتبار في العقود والأفعال بحقائقها ومقاصدها ، دون ظواهر الفاظها وافعالها ... وان القصد روح العقد ومصححه ومبطله . فاعتبار القصود في العقود اولى من اعتبار الألفاظ . فان الألفاظ مقصودة لغيرها ، ومقاصد العقود هي التي تراد لنفسها ... وقد تظاهرت ادلة الشرع وقواعده على ان القصود في العقود معتبرة ، وانها تؤثر في صحة العقد وفساده وفي حله وحرمته ... وان المتعاقدين وان اظهرا خلاف ما اتفقا عليه في الباطن ، فالعبرة لما أضمراه واتفقا عليه وقصداه بالعقد ، وقد اشهدا الله على ما في قلوبهما ، فلا ينفعهما ترك التكلم به حالة العقد ، وهو مطلوبهما ومقصودهما ... » (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٢ و ٨٣ و ٩٦) .

وان العقد ، لما كان مبناه على القصد ، فهو يتوقف على حرية المتعاقدين في اشتراط ما يشاءان . وهذا ما يسمى في اصطلاح رجال القانون اليوم بمبدأ حرية التعاقد .

وقد كان بحث الشرط في مجلة الأحكام العدلية وفي كثير من المذاهب الاسلامية ، لا سيما عند المتأخرين من الحنفية ، من الأمور الصعبة ، لما فيه من ضوابط وتفصيلات ، من ناحية بيان العقود التي يصح اقترانها بشرط التقييد ، او التي يصح ربطها بشرط التعليق ، ومن ناحية تعريف الشرط الفاسد ، وتأثيره على تلك العقود .

ولكن ابن القيم لم يرَ في كل ذلك ما يوجب التوقف عنده ، بل انطلق من هذا التقييد ، وجاهر بحرية الاشتراط والتعاقد ، قائلاً : ان « تعليق العقود والفسوخ والتبرعات والالتزامات وغيرها بالشروط امر قد تدعو اليه الضرورة او الحاجة او المصلحة ، فلا يستغني عنه المكلف ... والمقصود ان للشروط عند الشارع شأناً ليس عند كثير من الفقهاء . فانهم يلغون شروطاً لم يلغها الشارع ، ويفسدون بها العقد من غير مفسدة ... وههنا قضيتان كليتان من قضايا الشرع الذي بعث الله به رسوله : احداهما ان كل شرط خالف حكم الله ، وناقض كتابه ، فهو باطل ، كائناً ما كان . والثانية ان كل شرط لا يخالف حكمه ، ولا يناقض كتابه ، وهو ما يجوز تركه وفعله بدون شرط ، فهو لازم بالشرط . ولا يستثنى من هاتين القضيتين شيء . وقد دل عليهما كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الصحابة . ولا تعبأ بالمسائل المذهبية والأقوال الآرائية . فانها لا تهدم قاعدة من قواعد الشرع » . (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٣٧ — ٣٤٠) .

وقد استشهد ابن القيم بالآية الكريمة من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، معلقاً عليها بان الشرط الجائز هو « بمنزلة العقد بل هو عقد وعهد » . واستشهد أيضاً بالحديث الشريف : « المسلمون على شروطهم ،

الا شرطا حرم حلالاً ، او احل حراماً » (رواه الترمذي وابو داود وابن حيان والحاكم وغيرهم . وقيل انه حديث ضعيف . انظر بلوغ المرام لابن حجر ص ١٧٩ ، وسنن ابي داود ج ٣ رقم ٣٥٩٤ ، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢١٥) . واستشهد أيضاً بأقوال الصحابة وأقوال بعض الأئمة . ولقد صدق ابن القيم في تصوير هذا الأصل الشرعي العظيم ، الذي أخذ به أيضاً قانون أصول المحاكمات الحقوقية العثماني (المادة ٦٤) ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٦٦) .

منع الحيل في الأحكام

الحيل في الشرع نوعان . أولهما الحيل الشرعية المباحة في جميع المذاهب ، وهي التي يقصد بها التحيل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين ، واستعمالها في حالة اخرى ، بقصد التوصل الى اثبات حق ، او دفع مظلمة ، او الى التيسير بسبب الحاجة .

والنوع الثاني من الحيل هو الذي يقصد منه « التحيل على قلب الأحكام الثابتة شرعاً الى أحكام أخر ، بفعل صحيح الظاهر لغو في الباطن » (موافقات الشاطبي ج ٢ ص ٣٨٠) . وقد حصل خلاف بين المذاهب في صحة هذا الضرب من الحيل . فقال الحنفية وبعض الشافعية بجوازه ، وألفوا كتباً عديدة ، اشهرها كتاب الحيل لأحمد ابي بكر الخصاف الحنفي .

ولكن الامام الشافعي والامامين مالكاً وابن حنبل واتباعهما حرموا هذا النوع من الحيل . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، اذ عقد في هذا الموضوع فصولاً طويلة (في معظم الجزء الثالث اي ص ١١٩ — ٣٥٢ ، وفي الجزء الرابع كله ، خصوصاً ص ١ — ٤٠ ، من كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين) . وقد أسهب في بيان الأدلة على بطلان هذه الحيل ، وردّ على حجج من جوزها ، ثم فرق بين الحيل المباحة والحيل المحرمة ، وضرب منها أمثلة عديدة .

ولم يكتف ابن القيم بالاستناد الى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة والأئمة ، بل اعتمد أيضاً على حجج من المعقول . قال هذا الفقيه : « لما كانت المقاصد لا يتوصل اليها الا باسباب وطرق تفضي اليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها . فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب افضائها الى غاياتها وارتباطاتها بها ... فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل . فاذا حرم الرب تعالى شيئاً ، وله طرق ووسائل تفضي اليه ، فانه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه ، وتثبيتاً له ، ومنعاً ان يقرب حماه . ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية اليه ، لكان ذلك نقضاً للتحريم ، واغراء للنفوس به . وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الاباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك . فان أحدهم اذا منع جنده او رعيته او اهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة اليه ، لعد متناقضاً ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده . وكذلك الأطباء اذا ارادوا حسم الداء ، منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة اليه ، والا فسد عليهم ما يريدون اصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة ، التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال » ، (ج ٣ ص ١١٩ — ١٢٠) .

وخلاصة قول ابن القيم ان اباحة الحيل نقض لغاية الشارع . فلذا وجب سد الذرائع او الوسائل التي تفوت غاية الشارع ، وهي المصالح المقصودة من الأحكام الشرعية جميعاً .

ومن أمثلة الحيل الشرعية المعروفة عند الحنفية الحيل المستنبطة في الشفعة . وحق الشفعة جائزٌ عندهم للشريك في الملك المبيع ، وللخليط في حقوق المبيع ، وللجار . وقد استنبطوا حيلاً مختلفة للتخلص من هذا الحق . ولكن هذه الحيل غير مباحة عند ابن القيم ، ومن قال قوله ، لأن الشفعة « شرعت لدفع الضرر ، فلو شرع التحيل لابطالها ، لكان عوداً على مقصود الشريعة بالابطال ، وللحق الضرر الذي قصد ابطاله » .

احياء اعمال الفضولي المحسن

من القواعد الشرعية الأساسية انه ، لا يجوز لأحد ان يتصرف في مال غيره من دون اذن او ولاية . ومن تصرف في ذلك خلافاً لهذه القاعدة ، سمّي فضولياً . مثاله لو باع زيد مال عمرو ، دون ان يكون وكيلاً عنه ، أو ولياً عليه ، اي من دون تفويض من صاحب المال او اذن من الشرع ، فهو بائع فضولي .

ولقد اختلفت المذاهب والقوانين في حكم تصرفات الفضولي . فمنهم من قال إنها باطلة ، ولو وافق عليها صاحب المال . وهذا قول الامام الشافعي في مذهبه الجديد ، وقول الامام ابن حنبل في احدى الروايتين عنه ، وقول اصحاب المذهب الظاهري وغيرهم .

ومنهم من قال ان تصرفات الفضولي موقوفة على رضى صاحب المال . فان اجازها صحت ونفذت ، باعتبار ان الاجازة اللاحقة كالوكالة السابقة . وان لم يجزها صاحب المال ، بطلت وعدت كأنها لم تكن ، الا في بعض المستثنيات المبنية على الضرورة او على الاذن الضمني . وقد أخذ بهذه النظرية من القوانين الغربية القانون الانكليزي ، ومن الفقهاء المسلمين الامام الشافعي في مذهبه القديم ، والامام ابن حنبل في الرواية الثانية عنه ، والامامان ابو حنيفة ومالك واتباعهما .

أما النظرية الثالثة فتحكم بصحة تصرفات الفضولي ، ولو لم يجزها صاحب المال ، اذا كانت مفيدة له ، وجرت بقصد الرجوع عليه . وهذه النظرية عرفها الرومان ، ونقلها عنهم قانون نابوليون وغيره من القوانين الأوروبية الحديثة ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٤٨ وما بعدها) .

وعلى الرغم من ان الرأي السائد في المذاهب الاسلامية يأخذ بالنظرية الثانية ، فقد كان من الفقهاء من قال بالنظرية الثالثة . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين (الجزء الثاني ، ص ٣٢٤ — ٣٢٩) .

قال ابن القيم ، فيمن أدى عن غيره واجباً ، انه يرجع عليه به . واستند

بذلك الى الآية الكريمة من سورة الرحمن : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » .
فاذا أدى احد عن غيره ديناً بغير اذنه فلا يعد متبرعاً ، بل له مطالبة المدين بما اداه عنه ، لأنه ليس من الجزاء الصحيح العادل لمن يحسن الى غيره باداء دينه عنه ، « ان يضيع عليه معروفه واحسانه وأن يكون جزاؤه منه باضاعة ماله ومكافأته عليه بالاساءة » .

واستند ابن القيم أيضاً الى الحديث الشريف : « من أسدى اليكم معروفاً فكافئوه » . وعلق عليه بقوله : « وأي معروف فوق معروف هذا الذي افتك أخاه من أسر الدين ؟ وأي مكافأة أقبح من اضاعة ماله عليه وذهابه ؟ واذا كانت الهدية ، التي هي تبرع محض ، قد شرعت المكافأة عليها ، وهي من أخلاق المؤمنين ، فكيف يشرع جواز ترك المكافآت على ما هو من أعظم المعروف » ؟

واستشهد ابن القيم أخيراً بما نص عليه الامام احمد بن حنبل في عدة مواضع . منها انه اذن للأجنبي ان يحصد زرع غيره في غيبته ، على انه يرجع عليه بالأجرة والنفقة . هذا ، كما قال ، من احسن الفقه ، فانه لو ترك الزرع بلا حصاد ، بسبب مرض المالك او حبسه او غيبته ، لهلك وضاع . فاذا علم من يحصده له ان عمله ونفقته يذهبان ضياعاً ، لم يقدم على الحصاد . « وفي ذلك من اضاعة المال ، والحاق الضرر بالمالك ، ما تأباه الشريعة الكاملة » .

ومما ذكر ابن القيم عن امامه أيضاً ، انه لو انكسرت سفينة رجل ، فوقع منها ماله في البحر ، فخلصه له رجل آخر ، فلهذا الفضولي على صاحبه أجرة مثله .

وتعليل ذلك على الجملة ان الناس يتآزرون في المحافظة والنصيحة والمعروف . « فلو علم المتصرف لحفظ مال أخيه ان نفقته تضيع ، وان احسانه يذهب باطلا في حكم الشرع ، لما أقدم على ذلك ، ولضاعت مصالح الناس ، ورغبوا عن حفظ اموال بعضهم بعضاً ، وتعطلت حقوق كثيرة ، وفسدت اموال عظيمة . ومعلوم ان شريعة من بهرت شريعته العقول ، وفاقت كل شريعة ، واشتملت كل مصلحة ، وعطلت كل مفسدة ، تأبى ذلك كل الاباء » .

المحافظة على حقوق الغرماء

ان الشريعة الاسلامية ومعظم الشرائع خولت الغرماء وسائل شتى ، لأجل تحصيل حقوقهم ، أو لأجل المحافظة عليها . ومن هذه الوسائل حبس المدين ، وحبس العين ، وحجز الأموال ، وتقييد تصرفات المدين المريض ، والحجر على المدين المفلس ، وما الى ذلك .

ولكن الشريعة الاسلامية ، في مذهب جمهور الفقهاء ، تعتبر أن تصرفات المدين غير المحجور عليه صحيحة ونافذة ، ولو كان القصد منها اضرار الغرماء ، أو المماطلة في أداء حقوقهم . وفي هذا كما نرى بعض الحرج ، وفيه كثير من الخطر على حقوق الناس .

لذا أفتى بعض المتأخرين من فقهاء الحنفية ، بان من وقف ملكه على اولاده وهربه من الدائنين ، لا يصح وقفه ولا يلزم . وقد رجح هذه الفتوى المفتي ابو السعود العثماني في معروضاته ، ورجحها أيضاً العلائي وابن عابدين وغيرهما . وبها أيضاً اخذت المشيخة الاسلامية ودائرة الفتوى ، ومجلس الشورى في الدولة العثمانية ، فصدر الأمر السامي بالعمل بها بتاريخ ١٨ ربيع الاول ١٢٩٨ هـ .

وعلى الرغم من ذلك ، فان باقي تصرفات المدين تعتبر صحيحة عند جمهور الفقهاء ، لا سيما عند الحنفية ، حتى ولو كانت من نوع التبرع المحض . لذلك كان رأي الامام مالك وبعض الحنبلية ، كابن تيمية وصاحبه ابن القيم ، اوفق للمصلحة وأرفق بالناس . فقد قال هؤلاء الفقهاء بان المدين اذا استغرقت امواله بالديون ، فلا تصح عقوده التي فيها تبرع ، كالهبة والبيع بالمحاباة ، وما أشبه ، الا ماجرت العادة بفعله ، وسواء في ذلك أكان المدين محجوراً عليه أم لم يكن . واذا تبرع على هذا الوجه ، فللدائن ان يطلب من الحاكم أبطال التصرف . (شرح الخرشي على سيدي خليل ج ٤ ص ١٧٣ ، والقواعد لابن رجب القاعدة ١١ ص ١٤ ، واعلام الموقعين ج ٤ ص ٦ — ٧) .

ولقد أوضح ذلك ابن القيم بقوله إن حق الغرماء قد تعلق بمال المديان . وان « في تمكين هذا المديان من التبرع ابطال حقوق الغرماء . والشريعة لا تأتي بمثل هذا . فانها انما جاءت بحفظ حقوق أرباب الحقوق ، بكل طريق ، وسد الطرق المفضية الى اضاعتها » .

وهذا القول من أحسن الفقه . وهو شبيه بمضمون ما هو مشهور اليوم في القوانين العصرية ، باسم الدعوى البولصية ، نسبة الى القاضي الروماني بولص ، الذي كان أول من منحها الغرماء لأجل فسخ عقود المديون التي أجراها بقصد الاضرار بهم . وقد اقتبسها قانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ٢٧٨) ، وأسماها بالدعوى البوليانية .

التوسع في أصول البينات

روى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) انه قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه » . لذا اشترط الشرع واجب الاثبات لدى القضاء ، دفعاً للادعاءات الباطلة ، واقراراً للقاعدة الكلية ان الأصل براءة الذمة .

فاذن ، للاثبات اهمية كبيرة ، لأن عليه يتوقف امر حماية الحقوق وتنفيذها . ويكون الاثبات بطرق معينة ، أهمها الحجج الشرعية الثلاث ، وهي الاقرار والبينة واليمين . ولقد درس الفقهاء هذه الحجج وما يتفرع عنها درساً مفصلاً ، لا مجال لبيانه في هذا المعرض . ومن الذين درسوه درساً علمياً دقيقاً ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » . وهذا الكتاب تطرق الى جميع وسائل الاثبات ، واسهب في الادلة الشرعية المتعلقة بها ، وفي أقضية كثير من فقهاء المسلمين وقضاة السلف . وان تلخيص هذا الكتاب يحتاج الى مجال اوسع من مجالنا الحاضر . ولكننا نكتفي ههنا بالتنويه

بمسألة واحدة منه ، وهي تقدير الشهادات وقبول شهادة الرجل الواحد ، على ان نتبع ذلك ببحث مسألة عدم تجزئة الاقرار كما أوضحها ابن القيم في كتاب اعلام الموقعين .

أولاً — تقدير الشهادات وشهادة الواحد

استعملت كلمة البينة ، او البينة الشخصية في الاصطلاح بمعنى شهادة الشهود . وهي لم تقبل على اطلاقها في جميع الشرائع ، لما فيها من خطر ناتج عن نسيان الشهود او كتمانهم الشهادة او الكذب فيها ، بداعي التحزب او الاغراء او الرشوة . فلذا أوجب الفقهاء شروطاً معينة لقبول البينة ، وأوجبوا نصاباً معيناً اختلف باختلاف المذاهب والقضايا . وان بحث مراتب الشهادات خارج عن بحثنا ههنا . وعلى الجملة فالرأي السائد يشترط شهادة الرجلين او الرجل والمرأتين في قضايا الأموال ، وقد قبل المذهب الحنفي هذه الشهادة أيضاً في باقي حقوق العباد ، وهي نصاب الشهادة المنصوص عليه في مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٦٨٥) . وفوق ذلك ، قبل الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل شهادة الرجل الواحد ، اذا تعززت بيمين المدعي ، ولكن شهادة النساء ، وشهادة الرجل الواحد بدون يمين المدعي ، لم يقبل بها جمهور الفقهاء ، الا في بعض المستثنيات المحصورة .

أما ابن قيم الجوزية فقد توسع في مسألة البينات ، فأجاز شهادة الرجل الواحد الصادق ، متبعاً في ذلك قول بعض قضاة السلف ، أمثال شريح وزرارة واياس بن معاوية ، وقول ابي داود السجستاني وابن تيمية وغيرهم .

وقد رأى ابن القيم ان الغاية من البينة الوصول الى معرفة الحق ، وان العبرة فيها لصدق الشهود وعدالتهم ، لا لعددهم . فقال : «والصواب ان كل ما بيّن الحق فهو بينة . ولم يعطل الله ولا رسوله حقاً بعد ما تبين بطريق من الطرق أصلاً . بل حكم الله ورسوله ، الذي لا حكم له سواه ، انه متى ظهر الحق ووضح بأي طريق كان ، وجب تنفيذه ونصره وحرم تعطيله وابطاله» (اعلام الموقعين ، ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣) .

ومن هذا الأصل الحكيم استنتج ابن القيم «انه لا يجوز للحاكم الحكم بشهادة الرجل الواحد ، اذا عرف صدقه في غير الحدود . ولم يوجب الله على الحكام ان لا يحكموا الا بشاهدين أصلاً ، وانما أمر صاحب الحق ان يحفظ حقه بشاهدين ، أو بشاهد وامرأتين . وهذا لا يدل على ان الحاكم لا يحكم بأقل من ذلك . بل قد حكم النبي (ﷺ) بالشاهد واليمين ، وبالشاهد فقط» (الطرق الحكمية ص ٦٦ ، ٦٧) . او بعبارة اخرى ، «فالطرق التي يحكم بها الحاكم أوسع من الطرق التي أرشد الله صاحب الحق الى ان يحفظ حقه بها» (اعلام الموقعين ، ج ١ ص ٨١) .

وقد استند ابن القيم الى سنة النبي (ﷺ) ، اذ أجاز شهادة الاعرابي وحده على رؤية هلال رمضان ، وأجاز شهادة الواحد في قضية سلب رواها ابو قتادة ، وقبل شهادة المرأة الواحدة اذا كانت ثقة فيما لا يطلع عليه الا النساء ، وجعل شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري بشهادتين ، بالحديث الشريف «من شهد له خزيمة فحسبه» (رواه البخاري واحمد) .

وحديث خزيمة عده جمهور الفقهاء مخالفاً للقياس ومختصاً بخزيمة ، ورفضوا شهادة الواحد من غيره ، وفاقاً للقاعدة الكلية الواردة في الجامع وفي المجلة ، ان «ما ثبت على خلاف القياس فغيره لا يقاس عليه» (المادة ١٥) . اما ابن القيم فاعتبر ان هذا الحكم بالشاهد الواحد ليس مخصوصاً بخزيمة دون من هو خير منه أو مثله من الصحابة . فلو شهد ابو بكر وحده او عمر او عثمان او علي او أبي بن كعب ، لكان اولى بالحكم بشهادته وحده» (الطرق الحكمية ص ٧٠) . وبعبارة أخرى ، اعتبر ابن القيم ان هذا الحديث بني على علة ، هي صدق خزيمة ، فجوز للقاضي ان يتوسع فيه حيث وجدت علته ، ومن ثم جوّز له ان يحكم بشهادة كل من تحقق صدقه .

ثانياً — عدم تجزئة الاقرار

من الأدلة على توسع ابن القيم في مسائل البينات ، أخذه بنظرية عدم تجزئة الاقرار ، وايضاحها ايضاحاً وافياً .

فمن المعلوم ان الاقرار هو أقوى الحجج الشرعية على الاطلاق ، وان « المرء مؤاخذ باقراره » (نقلتها المادة ٧٩ من المجلة عن كتاب مجامع الحقائق) .

ولكن من الأمور المختلف فيها في القوانين مسألة الاقرار الموصوف . وهو الذي يشتمل الاقرار بالفعل الأصلي المدعى به ، والادلاء ببيان اضافي مرتبط به . مثاله ان يقر المدعي عليه بالدين المدعى به ، وان يزيد على ذلك بانه مؤجل . فهل يجب الأخذ بجميع قول المقر ؟ أم يجوز تجزئة اقراره ، بان يلزم بالدين المدعى به حالاً ، ثم يكلف باثبات التأجيل ؟

في المذهبين الحنفي والمالكي يحكم بتجزئة الاقرار . وفي هذا ، كما نرى ، تشجيع للكاذبين وعقاب للصادقين ، في بعض الأحيان . لذا نرى اليوم القوانين العصرية تأخذ بنظرية عدم تجزئة الاقرار . ومن هذه القوانين قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني (في المادتين ٢٢٦ و ٢٢٧) ، وقانون تنظيم المحاكم الشرعية اللبناني (في المادة ٤٤) .

وعلى هذه النظرية أيضاً سار الفقهاء الحنبلية ، ومنهم ابن قيم الجوزية . فقال هذا الفقيه بان الاقرار لا يقبل التبعيض ، لأنه كلام واحد لا يجوز الأخذ ببعضه دون بعض . مثاله اذا اقر المدعى عليه بالدين مؤجلاً ، لم يجبر على الدفع قبل الأجل ، لأنه بعبارة ابن القيم « انما أقر به على هذه الصفة ، فالزامه به على غير ما اقر به الزام بما لم يقر به » . (اعلام الموقعين ، ج ٣ ص ٣١٧) .

الخلاصة

نحن نستبين مما تقدم ان ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين ٠ بل كان من النوابغ الذين نظروا الى الشريعة الاسلامية على حقيقتها ، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها ، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم ٠

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد ٠ فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وأفتى بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكمات وطرق البينات ٠

فتوصل بذلك كله الى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ، وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وما شابه من النظريات والمبادئ ، التي لا نراها اليوم الا في احدث الشرائع ، وذلك كله في زمن يسابق لها بعدة قرون ٠ وما هذا كله الا دليل من الأدلة الكثيرة على ان الشريعة الاسلامية تحوي من الأسس القوية ما جعلها تماشي المدنية في الماضي ، وما يجعلها اليوم قابلة لأن تساير كل تطور في الحاضر والمستقبل ٠ واذا كان الأمر على عكس ذلك في وقت من الاوقات ، فلم يكن مرده الا الى جمود بعض المتأخرين ، والى تقصيرهم في تفهم معاني الشريعة الحقيقية ، كما يجب ان تفهم ، وكما فهمها امثال شمس الدين بن قيم الجوزية ٠

(بيروت) صبحي المحمصاني

المكاتب الايرانية
والمكتبة الرضوية ووصف بعض كتبها

تحتفظ ايران بثروة علمية ضخمة تضم أشتاتها المكاتب العامة والخاصة في عاصمتها طهران وأمهات مدنها الكبيرة . ومع ما انتاب ايران من الحروب المتواترة الداخلية والخارجية والتزاحم على سلطانها وسقوط دولة وقيام أخرى ، ومكروه ذلك وسيئه هو السهم المسدد لقلب العلم واجتياح كتبه ، فان البقية الباقية من ثروته في هذا البلد تفوق كل ما استبقت عليه الأيام ونكباتها من هذه الثروة في سائر البلاد الاسلامية .

فالمكاتب الايرانية اليوم ضاربة بسهم وافر من التنظيم ، منطوية على الكتب القيمة النادرة وعلى الكثير مما ألف وصنف في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية في عصور ازدهارها واتخاذها اداة العلم والفقه الاسلامي وما اليه والأدب والحكمة والطب والسياسة وحذق العلماء الايرانيين لها حذقاً منقطع النظير فكانوا بذلك بلا نكير أئمة وحججاً يرجع اليهم في فهم أسرار العلوم واسرار اللغة حتى أبناء هذه اللغة الشريفة ولم يكن اتخاذهم لغتهم الفارسية في عصور استقلالهم عن العرب لغة الدواوين والعلم والسياسة ليحد من نشاط جمهرة من علمائهم وأدبائهم في حذق اللغة العربية والاحتفاظ بكتبها سواء أكان فيما ألفه وصنفه أجدادهم أم العرب .

والمؤلفات العربية القديمة والحديثة هي أبرز ما تحويه مكاتبهم الحافلة بنوادر المخطوطات المضروب بالاسداد بينها وبين أن تمتد اليها الأيدي العاثرة . وحسبك برهاناً على مبلغ العناية بصونها من العيث فيها ان تجد الصناديق الحديدية المقفلة في مكتبة البرلمان الايراني مستودعاً أميناً لكتبها الخطية النادرة وهي المكتبة التي وصف بعض كتبها في مقاله القيم الباحث الأستاذ أسعد طلس في اجزاء

من مجلة المجمع . ولقد أتيح لي عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ان اقوم برحلة الى العراق وايران استغرقت ستة أشهر فأزور البرلمان الايراني ومكتبته ومكتبة سبهسالار زيارة قصيرة لم يمكن لي قصر الوقت بمقامي بطهران وجهل اللغة الفارسية وفقد من استعين به على الترجمة ان أبلغ حاجة في النفس من الوقوف على ما فيها وفي مكتبة قصور كلستان الزاخرة بآثار اليد والفكر من النفائس . وما فاتني الانتفاع به من مكاتب طهران لم يفتني من المكتبة الرضوية في مشهد خراسان وقد أقمت فيه مدة اربعين يوماً كان لي من أخلاق قيمها الفاضلة الشاهزاده (الامير) او كتائي ومن مساعدة من يحسن اللغتين العربية والفارسية وهو الفاضل الشيخ محمد تقي الايرواني ما وقفت عليه من نوادر مخطوطات هذه المكتبة العامرة في أيام غشياني لها ومن وصفه ومن الوقوف على المهم من تاريخ المشهد الذي كان مستهدفاً لغزوات الدول المجاورة لخراسان وهو قاعدتها أما

المكتبة الرضوية

فهي في الصحن الجديد شرقي الروضة وهو الذي بناه فتح علي شاه سنة ١٢٣٣ بعد تغلب شجاع الدولة على فتح خان وزير محمود شاه الأفغاني الذي قصد الاستيلاء على شهد بجيش جرار ، تقع المكتبة في طبقة علوية تشتمل على غرفتين احداهما للنسخ والتصحيح وثانيتها لتجليد الكتب وبينهما وبين غرفة الكتب فسحة مدت فيها المقاعد للمطالعة ومنها ينفذ الى غرفة الكتب البالغ طولها ٣٠ ذراعاً بعرض وارتفاع ستة أذرع تحتوي على ٦٢ فقسة (واجهة) مملوءة بالكتب يتجلى الذوق الايراني باتقان تجليدها وما فيها من فن حذقته الأيدي الفارسية الى تنظيم رائع بديع .

تاريخ انشاء المكتبة

أما تاريخ انشائها فغير معلوم على التحقيق ولكن المحقق انها كانت قائمة في أوائل المائة التاسعة بدليل ان ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك

قد وقف سوراً من القرآن الكريم على الروضة كتبها بخطه سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأوضح في الدلالة على وجود المكتبة في هذه المائة ان كتاب روض الجنان في التفسير للشيخ ابي الفتوح قد أرخ وقفه على المكتبة سنة ٨٦١

ولما غزا المشهد عبد المؤمن خان بن عبد الله خان اوزبك وفتحها بعد حصار اربعة اشهر وأعمل في اهلها القتل والنهب استولى على كل ما كان في الروضة الرضوية من نفائس الآثار وعلى بعض الكتب والمصاحف المجموعة من أقاصي بلاد الاسلام في أزمنة متمادية ووقع بأيديهم بعض منها بخطوط بعض الأئمة وحملوا من المشهد ما يقرب من حمل الف بعير ·

عدد كتبها

كان يبلغ عددها سنة ١٢٩٦ بعهد سدانة الميرزا سعيد خان ٢٠٦٩ · وسنة ١٣١٢ بعهد سدانة مؤيد الدولة ٢٩٨٢ · وسنة ١٣٤٢٠ بعهد سدانة الحاج ميرزا محمد ٣٣٤٤ وكان يبلغ عدد نسخ القرآن الكريم الفاً · وسنة ١٣٤٤ بعهد سدانة آغا ميرزا محمد خان الاسدي في سلطنة المرحوم رضا شاه البهلوي وبادارة الأمير اوكتائي للمكتبة بلغ عددها خمسة عشر الف كتاب منها خمسة آلاف مصحف ووضع لها مديرها فهرساً متقناً يبلغ ثلاثة أجزاء من القطع الكامل طبع سنة ١٣٥٤

ومن المدهش ارتقاء عددها الى هذا الرقم في أزمنة قريبة جداً وهو في ازدياد مطرد بلغت هذا العدد الى سنة ١٣٥٣ هـ و ١٩٣٤ م وهي التي أتيح لنا فيها زيارتها ومن ذلك يتبين مبلغ العناية بهذه المكتبة وللسلاطين الذين تعاقبوا على حكم ايران ولا سيما في العصور الأخيرة كثير من الكتب الموقوفة عليها وخاصة الملوك الصفوية ونادر شاه والقاجاريين ولكنها بلغت الذروة في عهد السلطان رضا شاه ومن العامليين الذين لهم أثر بين في وقف الكتب عليها العلامة الشيخ محمد بهاء الدين العاملي الهمداني الحارثي الجبعي والشيخ اسد الله بن خاتون العاملي العيناثي فقد وقف عليها سنة ١٠٦٧ اربعمائة كتاب في علوم مختلفة ·

وصف بعض مخطوطاتها

أما المصاحف الشريفة التي تزدان بها المكتبة والبالغ عددها خمسة آلاف مصحف ومنها ما يرجع تاريخ كتابته الى عهد جمع القرآن الكريم وتدوينه كالمصاحف المنسوبة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والى ولده الحسن السبط والامام علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام والى من تأخر عن عصورهم حتى المائة الثالثة عشرة للهجره فذلك مما لا مطمع في الاحاطة به ووصفه ولم يتعرض له فهرس المكتبة وجله جامع لروعة القدم ورواء زخارف الفن الفارسي في التجليد المتقن البالغ أقصى جماله وكأن التقرب الى الحضرة الرضوية وتخليد الذكر فيما يهدى اليها من النفائس سواء أكان في البناء أم في الأعلاق الثمينة أم في كتابة المصاحف هو الحافز لكثير من العظماء الى هذا التقرب فقد جاء في كتاب منتخب التواريخ للعلامة الحاج ملا هاشم الخراساني المتوفى سنة ١٣٤٩ ويوجد في مكان المصاحف الشريفة قرآنخانه قران ثلاثون جزءاً بخط تور كان زمرذملكة وقد وقفته سنة ٥٠٠ . ووقف ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك على الروضة سوراً من القرآن كتبها بخطه سنة ٨٢٧ .

وصف بعض المصاحف

وهذا وصف بعض المصاحف والسور القرآنية التي أتيح لنا الوقوف عليهـا ومما يدل على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز الخالدة .

الأول سور من القرآن المجيد

منسوبة الى خط علي عليه السلام فيها من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف مكتوبة عرضياً على رق بشكل السفينة تشبه قرآناً منسوباً لهذا الامام العظيم رأيناه في الحضرة العلوية بالنجف الشريف خطها كوفي خال من النقط وتنقيطه بالمداد الأحمر متأخر عن زمن كتابته عدد أوراقها (٦٨) وفي كل

صفحة (١٥) سطراً بطول (٣٤) وعرض (٢٣) وقطر (٣) وهي مجلدة بجلد مذهب موضوعة في صندوق مذهب والواقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية بخط العلامة البهائي ·

الثاني

جزء من القرآن منسوب الى علي عليه السلام مكتوب على رق سميك يشبه الايادي (العبادي) وعلى قدمه تراه كأنه كتب جديداً الا بعض الصفحات واذا نظرت الى بعضها تبين لك قدمها وتماسكه على تمادي القرون ·

عدد صفحاته (٩٢) وفي كل صفحة سبعة أسطر وطوله (٢٧ س) بعرض (١٨) وقطر سانتيم واحد وفي الصفحة الـ (٧) جدول بين سطورها بارز الى الهامش وواقفه الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية مكتوبة على ورقة ألحقت بأوله وهي بخط العلامة البهائي · وفي كلمات هذا الجزء نقط حمر وخضر متأخرة عن زمن كتابته · والذي استفدناه من مدير المكتبة ان النقط الحمر هي رموز الى علامات الاعراب فللكسرة نقطة تحتية وللفتحة نقطة فوقية وللتنوين نقطتان فوقيتان للمنصوب وتحتيتان للمخفوض وامام الحرف للمرفوع وللضمة نقطة امام الحرف ·

وأما النقط الخضر فالظاهر أنها للتفرقة بين بعض الحروف المتشابهة بالخط الكوفي كما يدل رسمها الحرف المهمل بشكل رسم المعجم ·

أما الجزء الأول فمكتوب في آخره (كتبه علي بن) بسطر (ابي طالب) بسطر ثان والجزء الثاني (كتبه علي) بسطر (بن ابي طالب) بسطر ثان باسقاط الف ابن ·

الثالث

جزءان من المصحف الكريم منسوب خطهما للامام الحسن السبط عليه السلام ابتدئ الأول باول الجزء الثالث والعشرين من سورة (يس) واختتم بالآية الـ (٤٥) من سورة (فصلت) التي هي الجزء الـ (٢٤) عدد أوراقها (١٢٢)

بطول (١٦ س) وعرض (١٢) وقطر (٥) وهما مكتوبان بالخط الكوفي بشكل السفينة وفي الآخر مكتوب سطران الأول (الأول كتبه الحسن بن علي) الثاني (ابي طالب) سنة احدى واربعين من وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية من خط العلامة البهائي باللغة الفارسية ٠

الرابع

مصحف منسوب خطه الى الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام موضوع في غلاف سميك مزخرف وقد كتب بالخط الكوفي على رق ووضعت له هوامش يشبه ورقها ورقه حفظاً لخطه وأثر الجدة ظاهر عليها وهي مطرزة بجداول جميلة ٠

سقط من أوله سورة الفاتحة الى الآية الـ (١٨٩) من سورة البقرة ومن اول الآية الـ (١٨٠) موجود الى آخر القرآن ٠

وواقفه غير معلوم عدد أوراقه (٣٦٩) وسطور كل صفحة (١٦) طوله (١٦ س) بعرض (١١) وقطر (٥و٦) وخطه أدق من خطوط الأجزاء القرآنية السابقة ٠ ونقطه بالمداد الأسود للاعجام وبالأحمر للشكل والاعراب ٠

وفي آخره مكتوب بعد سورة (الناس) بسطر واحد (قوله الحق وله الملك ان الله لا) وبسطر ثان (يخلف الميعاد كتبه المنتظر) وبسطر ثالث (بوعده علي بن الحسين بن علي بن) وبسطر رابع (ابي طالب) ٠

الخامس

سور من القرآن المجيد وسورة (الحمد والناس وعم) بدون ترتيب وهي بخط ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك مكتوبة بقلم الثلث في كل صفحة سبعة سطور سطران في اعلاها وسطر في أسفلها مكتوبة بالمداد الأسود وخمسة الأسطر الوسطى مكتوبة بمداد الذهب على ورق سميك المسمى عند الفرس (بالدوله ابادى) عدد أوراقه (١٦) وطوله (٨٣ س) بعرض (٦٣) وقطر

(٥) وهو مجدول بجداول رائعة وفي آخره شكل مربع وفوقه وتحته دائرتان جميلتان أما الدائرة العليا فمكتوب فيها (لقد جاءكم رسول الآية) وفي الدائرة السفلية [تقرب الفائز بكتابة السفر الكريم من القرآن العظيم بوقفه على الروضة الطاهرة العلوية الموسوية الرضوية بمشهد طوس الى روحه الزكية تقبل الله منه] وفي الوسط مكتوب [كتبه اضعف عباد الله الرحمن ابراهيم بن سلطان ابن شاهرخ بن تيمور كوركان عفى الله عنه في سنة سبع وعشرين وثمانمائة هجرية . اللهم صل على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله الطاهرين وصحبه وسلم] .

السادس

رأينا مصحفاً شريفاً مكتوباً على صفحة من الرّق موضوعة في صندوق طوله (٧٥ س) بعرض (٥٤) أما هذه الصفحة فانها تتقاطع الى ثلاثين دائرة مربعة الشكل مرسومة بمداد الذهب وحواشيها مزخرفة بالجداول الملونة الجميلة وفي كل دائرة سورة من سور القرآن الكريم والقرآن كله مكتوب في دوائر هذه الصفحة الثلاثين وكان يسمى (ميرخسرو المدني) ولم يؤرخ زمن كتابته .

السابع

مصحف شريف جلده من النوع المسمى بالفارسي (زرابي دشت) من أبدع ما رأيت من جلود المصاحف والكتب في هذه المكتبة والمدهش ان هامش كل صفحتين من صفحاته البالغة الـ (٢١٢) صفحة له نقش خاص وكله منقوش بالمداد الذهبي وفي أوله وآخره صفحات مذهبة رقيقة تشبه الأمواج الذهبية التي توجد في نواويس موتى القدماء وبين كل عدد من أوراقه ورقة بيضاء موضوعة حفظاً لرواء خطه ونقشه البديعين وفي أوله وآخره زخارف وجداول من اروع ما رسمته ريشة الرسامين وفي وسط زخارف الصفحة الأخيرة وجدولها دائرة وفي آخرها دائرة بارزتان قليلاً الى الهامش مكتوب في دائرة الوسط [الحمد لله الحميد على اتمام تنميق كلام الله المجيد بيد الراجي الى رحمة ربه المنان السيدجعفر

محمد خان ابن السيد باقر محمد خان الحسيني بحسب ارشاد عين الرشاد خان اعلى شان صاحب السيف والسنان ناشر الجود والاحسان الفياض ابن الفياض ابن الفياض خدايار محمد خان بهادُر ثابت جنك عباسي أدام الله ظلال اقباله وضاعف قدره] .

ومكتوب في الدائرة الثانية « ووقف على حرم الرضوي في تاريخ احدى وعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان واربعين ومائة والف من هجرة النبي صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائماً مباركاً »

وتاريخ ختم تحريره (تمام القرآن بجميل مدد السبحان) وتاريخ آخر مقتبس من كلام الله (وتمت كلمة ربه) وختامه (والحمد لله رب العالمين)

أما اوراقه فمن نوع (بالغ خان) وبين سطور صفحاته من أوله الى آخره منقوش بالمداد الذهبي بنقش واحد وخطه من نوع الخط المعروف بـ (شبه كشمير) وحروفه كبيرة طوله (٣٦) س بعرض (٢٤) س . وقطر (١١) س وجملة القول ان الفكر الفارسي الثاقب واليد الفارسية البارعة تعاونا على افراغه بهذا القالب الفذ وكم للفن الفارسي سواء أكان في الخط الرائع أم في النقش والحفر ودقة الصناعة من أثر بارز في هذه الحضرة وكأنها حلبة من حلبات مسابقة ذوي الفنون بأقصى ما تنفذ فيه قرائحهم وأيديهم أو معرض لما يعرضونه بها من الطرائف والبدائع على الطائفين بها من مختلف الأمصار الاسلامية .

يقول العلامة الكاتب الكبير الأستاذ عبد الوهاب عزام في كتابه (رحلات) وقد زار هذه المكتبة في عام زيارتي لها : « زرت المكتبة الرضوية وهي في الصحن الجديد في الطبقة الثانية وقد اطلعت فيها على مصاحف يحار الانسان في مرآها ويعجز عن وصفها . وحدثني قيم المكتبة ان بها آلافاً من المصاحف المخطوطة »

وقد بينا ان عددها خمسة آلاف مصحف كما حدثنا قيم المكتبة وهل في وسع الزائر المحدد مكثه في هذا البلد (مشهد) بالأيام والأسابيع ان يستقصيها كلها ويبلغ من وصفها ما يستحقه وصفها ؟

وبعد فهذا وصف ستة مصاحف هو نموذج لما استأثرت به هذه الخزانة من هذا العدد العظيم من كتاب الله الكريم ولعلها أحفل المكاتب الاسلامية بهذه الكنوز وهو ما قصرت الاطلاع عليه وما سمحت لي به الفرصة السانحة وآب اللهاب من صيف هذا البلد الطيب المرهق حره ومراعاة المراسم المتعارفة من تبادل الزيارات بين رجالاته على اختلاف الطبقات وبيننا التي كانت تستغرق شطراً كبيراً من وقتي المحدود الى شؤون اخرى لم تدع لي الا الشطر القليل منه لزيارة المكتبة والاطلاع على بعض مخطوطاتها النادرة ووصفه وما هو الا غيض من فيض ووشل من بحر وها انا أدونه مأخوذاً من مفكراتي اليومية من رحلتي العراقية الايرانية ٠

(١) ديوان حافظ شاعر الفرس المتوفى سنة (٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م) عدد صفحاته (٢٤٧) طوله ١٧ س وعرضه ١٢ س وقطره ٢ س سطور كل صفحة ١٢ س مجلد أنفس تجليد مجدول في الوسط بماء الذهب مع تقطيع سواد الجلد بنقوش في الوسط ودوائر شكله المستطيل وهو مكتوب على رق من نوع (الخان بالغ) وأول صفحة من مقدمته مجدول بنقوش بديعة بالمداد الأزرق والذهب ومثلها الصفحة الثانية ثم تنقطع هذه الزخارف ما خلا جداول الصفحات العادية الفاصلة بين الخط والهامش حتى الصفحة الحادية عشرة فترى في الصفحة الثانية عشرة صورتي فتاة وامرأة وقد جدولت حواشيها كالصفحتين الأوليين ورسم ما بينهما صور من الأزهار وغيرها وهكذا تجد مثل ذلك في سبعة مواضع سبع صور أو سبعة مجالس (في مصطلح الفرس) وما فيها من الرسوم وما حواليها من صور النبات والأزهار وجداول لحواشي الديوان وأخرى في صلب الصفحات عند الابتداء بكتابة كل قصيدة من قصائده من أبدع ما أخرجته ريشة المصور الفارسي ٠

أما الكاتب فاسمه درويش عبد المجيد درويش الأستاذ في قلم الشكستة المكتوب به هذا الديوان والنوع الجميل المعروف من الخطوط الفارسية وتاريخ كتابته سنة ١١٧٠

(٢) خواص الأدوية (او الاشجار) عدد أوراقه (٢٨٥) وعدد أشكال النباتات والأشجار (٧٤٧) وصور الانسان والحيوانات (١٤٨) طوله ٤٠ س و ٦ أعشار السانتيم وعرضه ٣٠ س

مؤلفه ديسقوريدس العين زربي[1] (٢٥٣) قبل الميلاد باللغة اليونانية ثم نقل الى السريانية ومنها نقله الى العربية في أوائل المائة السادسة الهجرية سنة ٥١٨ مهران بن منصور بن مهران . واقفه الشاه عباس سنة ١٠١٧

(٣) كتاب مفيد الخاص في علم الخواص لمؤلفه محمد بن زكريا المتوفى سنة ٣٢٠ او سنة ٣٦٤ كما في أخبار الحكماء . وفي طبقات الأطباء سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثمائة وكسر عدد أوراقه ١٦٩ وعدد فصوله ٥٠ طوله ٢٨ س وعرضه ٢٠ س وقطره ٢ س

أول صفحاته مزينة بنقوش من اللون الأزرق والأصفر الذهبي ومجدولة بين الكتابه والهامش بجدول ملون بالأزرق والأصفر وفي وسط هذه الصفحة مكتوب بمداد الذهب بخط كبير الحروف ما هذا نصه : « لخزانة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد المجاهد المؤيد المثاغر المرابط المظفر المنصور الملك الصالح عماد الدين والدنيا ابي الفداء اسماعيل[2] ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر ناصر الدين ابي المعالي محمد ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور قلاوون نصر الله دولة سلطانه وتغمد الدارجين من بيته الشريف برحمته ورضوانه » وبعد هذه الصفحة صفحة تليها تحتها شكلان مستطيلان وبقابلها صفحة على مثالها ومكتوب في الشكل الأعلى من الصفحة الأولى هكذا (الجزء الثاني من كتاب) وفي الأعلى من الصفحة الثانية المقابلة لها هكذا (المفيد الخاص في علم الخواص) وفي أسفل الصفحتين الأولى (تأليف الحكيم العالم الفاضل محمد) والثانية وهي الثالثة (ابن زكريا الرازي لملك مازندران)

(١) وفي أخبار الحكماء . . ذياسقوريدس العين زربي من أهل عين زربة شامي يوناني حشائشي كان بعد بقراط وفسر من كتبه شيئاً كثيراً .

(٢) المتوفى في تاريخ ابن الوردي سنة ٧٤٦ هـ ١٣٤٥ م .

وما بين هذين الشكلين المحتويين على اسم المؤلف بيان مواضيع الكتاب · غرائب الخواص وعجائبها وعلم الفراسة · والفلاحة · وسياسة الجوارح وطبها · والخيل والدواب وبيطرتها · والحيوانات وتربيتها · وغرس الرياحين والبقول والأشجار ونوادرها · وصيد السموك والأطيار الى آخر ما في الكتاب من مباحث جليلة ·

وفي الصفحة الرابعة يبتدئ بالبسملة ثم بعدها بكلمة (بخور) وفي آخر الصفحة تهرب منه الحياة والعقارب وبينها صورة حية وبعض الهوام وصورة فتاة مرتدية ثوباً احمر اكمامه خضر وعلى رأسها شبه اكليل أصفر مذهب وتحمل بيدها مجرة ·

وفي الصفحة الخامسة المقابلة لها صور حية وهوام أخرى كالذباب والزنابير والعقارب وصورة فتاة أيضاً مرتدية ثوباً أزرق اكمامه حمر وعلى رأسها تاج أصفر مثل تاج الصورة الأولى وبيدها مجرة صفراء مثل الأولى وان هذا البخور يطردها · وفي تضاعيف صفحات الكتاب صور اشجار ونباتات وحيوانات وهوام وكل ما يتعرض لذكر خواصه في فصول الكتاب ·

أما ورق الكتاب فسميك من نوع الورق (الابادي)

(٤) مجموع الغرائب وموضوع الرغائب لمؤلفه العلامة الشيخ ابراهيم الكفعمي اللويزي العاملي[١] عدد اوراقه ١٩٢ عدد سطور كل صفحة ١٩ طوله ٢١ س وعرضه ١٥ س وقطره ٣ س

أما موضوع الكتاب فأدبي على مثال كشكول العلامة البهائي غير منتظمة درر فوائده في سمط وهو من الكتب المفيدة الجامعة وقد نقص من أوله اوراق لا يعلم عددها والواقف له هو الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي وهو أحد الكتب الـ (٤٠٠) التي وقفها على هذه المكتبة سنة ١٠٦٧

ورقه متين من نوع الابادي وخطه أقرب الى الرداءة وأغلاطه كثيرة وهذا ما جاء في آخره « وبعد فهذا كتاب محتو على بساتين قد سلكت أنهارها

---

(١) المتوفى في اواخر المائة التاسعة الهجرية ·

وأفانين قد تفتحت ازهارها وقصص هي مخضرة الأغصان وأخبار هي عطر الأردان ٠ وأجوبة ضاحك ثغرها ٠ والغاز فائح نشرها ٠ الى ان قال : وهو كتاب مجموع الغرائب وموضوع الرغائب وهو اسم وافق المسمى ٠ ولفظ طابق المعنى جمعته من كتابنا الكبير الذي ليس له نظير جمعته من الف مصنف ومؤلف ٠

(٥) ليلى ومجنون

عدد أوراقه ٤٩ سطور كل صفحة ١٢ طوله ١٧ س بعرض ١٠ س وقطره ٢ س

هو قصة شعرية باللغة الفارسية ذات مجالس عشرة (فصول) في كل فصل صورة مشهد من مشاهدها ما بين صور فتيان وفتيات وصور رجال يمتطي بعضهم جواداً ويعتقل رمحاً والصور مزخرفة بأبدع الألوان وبين صور هذه المشاهد فنون من الأزهار ٠

أما جلد الديوان فجميل جداً وفيه بعض النقوش وورقه سميك من نوع الورق المعروف عند الايرانيين بالكشمير لونه ضارب الى الصفرة وخطه من نوع نسخ التعليق وأول صفحة يستوعب شكل مستطيل نحو ثلثها متقاطع بخطوط حمر وصفر تملأ فراغ ما بينها نقوش ذات الوان شتى وهامش هذه الصفحة والتي تليها تزينها الوان الذهب واللازورد والأرجوان وما بين السطور عرضاً خطوط منحينة وان كانت على سمت واحد منقوشة بماء الذهب ٠ وخط يمتد من بدء الديوان الى الى آخر الصفحة الأولى ومن الصفحة التي تليها طولاً وهو مجموع خطوط ذات الوان وما عدا هاتين الصفحتين الى آخر الديوان فهو مطرز الهوامش بثلاثة خطوط ذهبية اللون وخط واحد عند انتهاء الهامش والفواصل بين قصائد الديوان مزينة بخط عرضي على نحو (سانتمتر) بالألوان الثلاثة الأصفر والأحمر والأزرق وفي وسط كل خط موضوع القصيدة وهو مكتوب تارة بالمداد الأحمر والأخرى بالأبيض وطوراً بالأسود ٠ وفي الصفحة الأولى مكتوب بالمداد الأبيض ماهذا صورته باللغة الفارسية « نسخة زلوجه ازنام خدا » ٠

أما ناظم الديوان فهو ملا مكتبي الشيرازي المعاصر للخواجه نصير الدين الطوسي وكاتبه هو محمد علي الاصفهاني في اصفهان سنة ١٢٣٢ .

وقد راجعت فهرست المكتبة فلم أجد به ذكراً لهذا الديوان وانما يذكر بهذا الاسم ديواناً لناظمه الشيخ نظام الدين الكنجوي ولم يرد له ذكر في كشف الظنون مع ذكره طائفة من الشعراء نظموا دواوين باللغات الثلاث .

وكأن هذا الديوان أهدي للمكتبة الرضوية بعد تنسيق فهرستها وطبعه .

(٦) مجموعة خطوط

تشتمل على اثنتين وثلاثين قطعة من الورق السميك (المقوى) مخطوطة باثنين وثلاثين خطاً ورسماً من أنواع خطوط الشكستة والنسخ والتصوير منها ستة بخط الميرزا احمد التبريزي واثنان وعشرون بخط الدرويش وغيره من المعروفين بجودة الخط واربع قطع منها تصوير المصور اسماعيل النقاش بتاريخ ١٢٧٧ وهذه القطع موصولة ومطوية بشكل الكتاب ملونة الهوامش بالوان مختلفة ومنها ما هو مكتوب من يمين الصفحة الى يسارها بسطور مستقيمة ومنها مكتوب على زوايا المقوى المنحرفة ومنها مكتوب على هذه الصورة معاكساً من اليمين واليسار ومنها مكتوب بزوايا منحرفة الى آخر المقوى مع حفظ تربيع شكل الصفحة وكلها مجدولة الهوامش وكثير منها مزخرف بماء الذهب وكذلك فراغ ما بين السطور ومنها قطع مصبوغة بالأسود والمكتوب فيها باللون الأخضر أو الأبيض وأكثر الهوامش يختلف لون الواحد منها عن الآخر .

وبالجملة فان هذه المجموعة لمن النفائس ومما امتازت به اليد الفارسية الرشيقة التي أنزلت عليها الحكمة . وأما الصور الأربع المشتملة عليها هذه القطع الفنية فهي من أبرع ما رسمته يد المصورين .

(٧) اسطرلاب

هو دائرة مسطحة من الصفر له غطاء من الصفر متقاطع بخطوط تبين منه

بعض دوائر الاسطرلاب وخطوطه وتحت الغطاء خمسة الواح من الصفر وفي كل لوح منها خطوط الميول وهذه الألواح رقيقة توضع ضمن الدائرة التي تجمع اسماء البلدان غير الايرانية في طرازها والبلدان الايرانية في دائرة صغيرة ضمن هذه الدائرة وفي الوسط دائرة تعرف فيها عروض تلك البلدان وأطوالها في الكرة الأرضية وهي كصحيفة يبرز منها ما تضم تلك الألواح وفي الدائرة الوسطية شكل مثلث وفيه قبضة الدائرة مكتوب في وسطه (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظها)

وللاسطرلاب برغي بصورة جواد يضم أشتات الألواح بضغط عارضة نحاسية فوقه من ثقب أعلاه وأسفله ·

أما صانع هذا الاسطرلاب فمكتوب اسمه في ضمن دائرة صغيرة بما هذا لفظه (صنعه أقل الطلاب عبد العلي)

وأما عبد العلي هذا فهو بيرجندي من مشاهير رياضيي ايران في عصره توفي سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م ·

وله مؤلف بموضوع هذا الاسطرلاب موجود في هذه المكتبة خطه نسخ تعليق عدد أوراقه (١٨) طول (٢٠ س) وخمسة اعشاره وعرضه (١٠ س) وستة اعشاره الفه باسم حبيب الله خان · اوله (الحمد لله الذي زين سماء الدنيا بزينة الكواكب) وفي آخره (بعد مقعر هرفلك وبدرجات) ·

(٨) أخبار البلدان · عدد أوراقه ٢١٢ سطور كل صفحة (١٩) وطوله ٢٠ س وثلاثة اعشاره وعرضه ١٠ س وثمانية أعشار السانتيم ·

اما مؤلفه فهو احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني [1] المعروف بابن الفقيه المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م ·

---

(١) ترجم له صاحب معجم الأدباء وقال : ذكره محمد بن اسحاق في كتابه الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال : وله كتاب البلدان نحو الف ورقة . أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني وكتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين .

والكتاب مكتوب بقلم نسخي متوسط ثخين الورق وهو يشتمل على اسماء البلدان وخططها وما ورد فيها من مدح وذم اوله «الحمد لله رب العالمين وآخره تم الكتاب بحمد الله تعالى الى هنا تأليف احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني المعروف بابن الفقيه» أما تاريخ كتابته فمفقود لفقدان أوراق في آخره ويظهر عليه أثر القدم وقد نقلت منه عشرين صفحة ٠

وواقفه الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن الخاتوني العاملي سنة ١٠٦٧ وهو من جملة كتبه الـ (٤٠٠) الموقوفة على هذه المكتبة ٠

(٩) مجموعة أشعار

عدد أوراقها (٢٦٧) طول (٣٠ س) وثلاثة اعشاره وعرض (٢٠ س) واربعة اعشاره ٠ مرتبة على الحروف الهجائية والمفقود منها أكثرها والموجود من حرف اللام من (لو) (لو لم اهم الي وجهكم) الى (كيلا ولا عدداً لو عاش اعمارا) كما فقد قسم من حرف الياء من آخرها ٠ وفي كل صفحة عشرة سطور وخطها من نوع النسخ وجامعها ناسخها وتاريخ نسخها كل اولئك مجهول ٠

وهي مكتوبة بشكل السفينة ويسمى بالفارسي بياضان وورقها من نوع (الابادي) والشعر المختار من شعر مشاهير شعراء الاسلام وهو لا يتجاوز البيت والبيتين في موضوع الحكم والأمثال ويظهر ان مؤلفها شاعر مجيد ومن شعره :

مال يخلفه للضد صاحبـه خير له من سؤال الناس والطلب

أما أبيات الشعر فمكتوبة في الوسط وفي الهوامش اسماء الشعراء وموارد مضرب الأمثال ٠

والظاهر ان هذا المجموع كما يظهر من خزانه الأدب ج ١ ص ٣٩٦ هو كتاب الآداب لمؤلفه القاضي ابي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر السعدي المصري المعروف بابن سناء الملك الشاعر المعروف المتوفى سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١ م ٠

قال في الخزانة : ولا أعلم قائل هذين البيتين (وهما :

عليك بأوساط الأمور فإنها　　طريق الى نهج الصواب قويم
ولا تك فيها مفرطاً او مفرّطاً　　كلا طرفي قصد الأمور ذميم)

ولا رأيتهما الا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب وكتاب الآداب تأليف ابن سناء الملك ابن شمس الخلافة [1] وهو من كتب الأدب . وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدمين والمتأخرين تنيف على الفي بيت وقد نسب كل بيت ومصراع فيه الى قائله مع تتمة الشعر حسن بن صالح العدوي اليمني وسمى تأليفه العباب في شرح أبيات الآداب .

(١٠) كنز الفوائد

عدد أوراقه (٢٥٢) سطور الصفحة (١٩) طوله (٢٠) س وعرضه (١٠) س وثلاثة اعشار السانتيم وواقفه الشيخ أسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي العيناثي

ومؤلفه ابو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي المتوفى ٤٤٩ ﻫ ١٠٥٧ م وهو من فقهاء الامامية ومتكلميهم معاصر للشريف المرتضى طوف في البلاد وخاصة البلاد الشامية فزار طرابلس في عصر قضاتها بني عمار وصيداء وصور ومن فلسطين (الرملة) ومصر ومنها تنيس وله مؤلفات ورسائل باسماء بعض الامراء وغيرهم في الكلام والفقه والتفسير وجواب مسائل . أما كَراجُك البلد المنسوب اليه فيقول في مراصد الاطلاع بالفتح والجيم المضمومة قرية على باب واسط .

وهذا الكتاب من كتب الأمالي يشتمل على فوائد في الكلام والتفسير والفقه والحديث والأدب واللغة والأخبار والمناظرات والأجوبة على مسائل في مختلف العلوم

وهو جزآن بمجلد واحد وخطه نسخي وورقه اصفر من نوع الأبادي .

قال كاتبه في خاتمة الجزء الأول : ووافق الفراغ من تعليقه يوم السبت سابع عشر من شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمائة علقه وما بعده العبد

(١) وقال العلامة السيوطي في الجزء الثاني من حسن المحاضرة : السعيد ابو القاسم هبة الله ابن الرشيد جعفر بن سناء الملك المصري الشاعر المشهور وانك لترى شيئاً من الاختلاف في القاب أبيه .

الفقير الى الله تعالى جعفر بن محمد بن سويد عفا الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين آمين رب العالمين .

والجزء الثاني كالأول خطاً وورقاً وحجماً وناسخه ناسخ الأول .

(١١) الدرة النضيدة شرح الأبحاث المفيدة عدد أوراقها (٤٩) وسطور كل صفحة (٣٠) وطولها (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وعشر خطها نسخي والواقف الشيخ اسد الله الخاتوني العاملي العيناثي سنة ١٠٦٧

رسالة في أصول الدين . الأصل للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٧ ﻫ ١٣٢٦ م والشرح كما هو على ظاهر الصفحة الأولى « تصنيف الشيخ الامام الفاضل الكامل بقية السلف عين أعيان الزمان عز الملة والدين حسن بن ناصر الدين الحداد العاملي » وعلى الحاشية على ظهر هذه الصفحة صورة ما كتبه المصنف على النسخة

ابتدأت في تصنيفه ثامن عشري شعبان وفرغت في رابع عشري رمضان فكان مجموع المدة ستة وعشرين يوماً وذلك في الحلة .

أوله بعد البسملة « الحمد لله القادر القاهر العزيز الجبار المتكبر المتجبر الحليم الغفار » ينتهي الكتاب ببحث المعاد وقد فقد منه .

وفي فهرست المكتبة في الجزء الأول ينسبه للشيخ ناصر بن ابراهيم الاحسائي العاملي ويؤرخ كتابة الكتاب ووفاة مصنفه في سنة ٨٥٣ ﻫ (١٤٤٩ م)

أما نسبته للاحساء فلبلده والجبل عامل فلإقامته فيه لطلب العلم يوم كانت الرحلة اليه من مختلف الأمصار ومدارس جبع ومشغرة والنبطية وميس وعيناثا عامرة مكتظة بطلاب العلوم وكبار المدرسين .

(١٢) الاشتقاق عدد اوراقه (١١) وعدد سطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وصفة اجزائه وخطه من نوع النسخ وورقه أصفر ولم يؤرخ زمن كتابته والواقف نادرشاه المقتول سنة ١١٦٠ ﻫ ١٧٤٧ م والمدفون

في (مشهد) ضمن بناية فخمة امامها بناية متخذة مركزاً للشرطة (النظمية) ووراءها الى الشمال بناية فيها مكتبة عامة تسمى بالنادرية .

أما موضوع الكتاب فهو اعلام منقولة للآدميين وغير الآدميين من الفاظ استعملت لغير العلمية ومؤلفه ورواته تتبين اسماؤهم من بدايته وهي :

قرأت على ابي خليفة (١) قال قرأت على ابي محمد التوزي (٢) وابي عثمان المازني (٣) وابي الفضل الرياشي (٤) قالوا : قال الأصمعي (٥) الهيصم (الخ) وينتهي بكلمة الأنادر البيادر .

وورد ذكر لهذا الكتاب في فهرست ابن النديم وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ولم يذكره ملا كاتب چلبي في كشف الظنون .

وقد استنسخته وهو لا يخلو من بعض الأغلاط ومن طموس بعض كلماته وبعد عودتي من ايران ومراجعة أمهات الكتب اللغوية علقت عليه تعليقات ربما تزيد عليه ولعلي أنشرها في مجلة المجمع مع الأصل ان ساعدني القدر .

(١٣) مختصر المعرب

عدد أوراقه (٢٦) وسطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠) وثلاثة اعشاره واقفه ملا مومى .

أما المعرب او المعربات فهو تأليف ابي منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ١٠٧٣ م وقد طبع بتحقيق العلامة احمد محمد شاكر طبعة جيدة سنة (١٣٦١ هـ) وقدم له مقدمة جيدة مفيدة البحاثة الأستاذ عبد الوهاب عزام ولم نجد ذكراً لهذا المختصر لا في مقدمة عزام ولا في مقدمة شاكر للكتاب

---

(١) المتوفى بالبصرة سنة ٣٠٥ هـ ٩١٧ م

(٢) المتوفى ٢٣٨ هـ ٨٥٢ م

(٣) المتوفى سنة ١٩ و ١٨ و ٣٠ ومائتين

(٤) قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلي الضحى في مسجده سنة ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م

(٥) المتوفى سنة ١٦ و ١٤ او ١٧ ومائتين بالبصرة

ولا في كشف الظنون وعلى ظهر هذه النسخة مكتوب (اختصار الامام الأوحد ابي علي الحسن بن علي بن ابي بكر الغوري) ٠

وفي آخرها (نقلته من نسخة مكتوب آخرها علق ذلك أفقر عباد الله وأحوجهم الى رحمة الله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله القرشي الفارقي عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين) ٠

وأولها بهذا الخط (كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول (ﷺ) تأليف الامام العالم ابي منصور ابن احمد بن محمد بن الخضر عرف بابن الجواليقي رحمه الله تعالى) وكذا بعد البسملة والحمدلة « قال الامام ابو منصور الخ ٠ » هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ٠ وهذه النسخة المنقولة منها مقروءة على حافظ الاسلام جمال الدين المزني في سبعة مجالس ويصلح فيها أشياء ومواضع وصورة التبليغ في هوامشها ٠ بلغ قراءة وبحثاً على شيخنا ابي الحجاج المزني ٠ وفي آخرها قرأت جميع هذا الكتاب على شيخ الاسلام الحافظ الحجة جمال الدين بن الحجاج المزني قراءة تدبر وتفهم ولله الحمد في مجالس آخرها سادس عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بدار الحديث الأشرفية بدمشق المحروسة ٠

وكتب محمد بن عبد القاهر بن عبد اللطيف بن عمر بن امين الدين الحنفي الحلبي غفر الله لهم وللمسلمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٠

انتهى ما رأيته مكتوباً في آخر الأصل من النسخة وبخطه على الحاشية بازاء هذا الكتاب الظاهر انه مختصر من كتاب الجواليقي لا له فان الأصل الذي نقل منه هذا الكتاب هو بخط الحسن بن علي فان كثيراً ما يذكر فيه قال شيخنا ابن مالك وهذا الحسن وقع الى حلب سنة ١٠٠٨

هذا ما رأيته مكتوباً على النسخة نقلته بحرفه ونصه كما استنسختها وأولها الحمد لله رب العالمين على ما هدانا وآخرها ياهيا شراهيا

(١٤) ورأيت في مجموعة من مجاميع هذه المكتبة صورة كتابين من الامام الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي المتوفى قتلاً سنة ٩٦٦ هـ ١٥٥٩ م لبعض علماء (مشهد) توصية بالعالم الشاعر الشيخ محمد الحياني العاملي نسبة الى قرية (بني حيان) من قرى جنوب جبل عامل قرب (بنت جبيل) .

ولولا هذان الكتابان لم نبين عصر هذا الشاعر الذي لم يترجم له صاحب (أمل الآمل) الذي ألفه صاحبه في (مشهد خراسان) .

وهناك طائفة من الكتب الخطية النادرة ومنها غير قليل لفريق من العلماء العامليين وغيرهم لم يتسع لنا الوقت لوصفها ولعل فيما وصفناه مما اطلعنا عليه في أنات متقطعة التدليل الكافي على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز العلمية وعلى حرص اخواننا الايرانيين على آثار الأجداد الخالدة جزاهم الله خيراً .

النبطية ـ جبل عاملة ـ لبنان　　　　سليمان ظاهر

الأونسكو

برنامجه وآماله

بقلم السيد جوليان هوكسلي (المدير العام للاونسكو)

يتميز عصرنا الحاضر بامتداد أفق التربية والتعليم ، ووصول طوائف اجتماعية جديدة اليها . وهذه ظاهرة تاريخية ذات أهمية بالغة ، ولن تعدم أن يكون لها نتائج عميقة الأثر في حقل التعاون العقلي بين الشعوب . ولقد شعر رجال الأونسكو بهذه الظاهرة أتم الشعور . وهم عازمون على الاستفادة منها أكبر استفادة ممكنة ، اذ أن هذه المنظمة تطمح الى توسيع هذا التعاون ، وتطلب مساهمة كل العناصر الاجتماعية فيه ، من غير ان نقلل من أهمية التعاون بين أفراد النخبة المفكرة . ولهذا نراها تهتم أكبر الاهتمام بوسائل نشر الفكر الحديث كلها : من صحافة الى مذياع ، الى خيالة .

ولنقل الآن كلمتين حول دورة الأونسكو العامة التي انعقدت في مكسيكو من اليوم السادس من تشرين الثاني الى اليوم الثالث من كانون الأول الماضي . واجتمع فيها زهاء خمسمائة عضو من المربين والصحافيين والفلاسفة والعلماء والشعراء والسياسيين .

كان هذا الاجتماع أول اجتماع للأونسكو في أمريكا اللاتينية . ولقد وجدنا في العالم الجديد ، ذات الروح التعاونية ، التي كنا نحملها اليه . وكان استقبالنا حافلاً ، لا من أعضاء الحكومة فحسب ، بل من الشعب كله الذي كان يرى في الأونسكو أملاً في السلام . ورمزاً للتقدم الاجتماعي والثقافي .

ولقد أتاح اجتماع مكسيكو فرصة لالتقاء رجال من نزعات عقلية وروحية مختلفة أكبر الاختلاف ، جاءوا اليه من القارات الخمس ، واجتمعوا في سبيل

الدفاع عن الثروة الفكرية الانسانية ، والعمل لاغنائها . وكانت الفرصة مناسبة لتوحيد الجهود في خدمة التعاون الدولي ، عن طريق عمل محسوس .

وليس من باب المصادفة أن تكون الثقافة محور الالتقاء ، ونقطة التفاهم في هذا العالم المغمور بالاضطراب وفقدان الثقة . ولكنّ على الاونسكو أن يغتنم هذه الفرصة ، وأن يستثمرها أحسن استثمار . ونحن عقدنا العزم على اغتنام الفرصة ، والسير بها الى النهاية . يبرهن على ذلك برنامج عملنا لعام ١٩٤٨ . ففي تشعب مراميه ، والمساهمات التي يقتضيها من جانب الأمم المختلفة ، ما يوضح عزمنا على خدمة مثلنا الأعلى الجريء ، بطريقة واضحة ، مطابقة لمقتضيات مدنيتنا الحاضرة .

ولقد أسفر اجتماع مكسيكو عن تحديد ميزانية المنظمة لعام ١٩٤٨ ، وتعيين برنامج العمل ، وقبول ثلاث دول جديدة كأعضاء ، عدا سويسرا . وهذه الدول واقعة في قلب أوروبا ، وهي ايطاليا والنمسا والمجر .

وهنالك شيء هام ، أحب أن أشير اليه ، وهو الدور الذي طلبت المنظمة من أعضائها القيام به في تنفيذ برنامجها . وذلك عن طريق لجانها الوطنية ، أو بتعبير آخر ، عن طريق شعوبها بالذات . والاونسكو متأكد من قيمة هذا الدور وأهميته . اذ لا سبيل الى تحقيق أغراض المنظمة إلا عن طريق اقناع الرأي العام ، هذا الرأي الذي لا يمكن التأثير فيه الا بجهد دائم . وعلى ذلك فان مساهمة أعضاء المنظمة (أي الدول الداخلة فيها) هي الشيء الذي يعتمد عليه الاونسكو في تحقيق برنامجه لهذا العام .

ولا أستطيع أن أشرح تفاصيل هذا البرنامج الذي يضم طائفة كبيرة من قضايا التربية والتعليم والثقافة ، في مثل هذا المجال الضيق . ولهذا أقتصر على ذكر بعض الأهداف الرئيسية ، لعلني أستطيع أن أوضح منهاج العمل ، من خلال خطوطه الكبرى .

١ — المساهمة في تثبيت دعائم السلم

وذلك بتنمية التفاهم العالمي ، والتعاون بين المربين والعلماء وممثلي الثقافة .

ويرى الأونسكو أن إعادة الحياة التربوية والعلمية والثقافية الى مجراها الطبيعي ، مهمة من أكبر مهامه . ولكن ذلك لا يعني ان منظمتنا مؤسسة إحسان ومساعدة ، أو نوع من (الاونرا) لأمور التربية . إذ لن تكفي في هذا العمل ملايين الدولارات . وعلى هذان فإن عملنا يقتصر على إحصاء الحاجات ، والدعوة الى التبرع لها ، ومدّها بما يكفيها ، من كل الطرق الحكومية والخاصة الممكنة ، وتوحيد الجهود في هذا السبيل .

ولقد آتى عملنا بعض ثماره : فقمنا بدراسة الأوضاع التربوية في بلاد اثني عشرة دولة ، وعرفنا حاجاتها من حسن الناحية ، ووجهت نداءات الى شعوب الولايات المتحدة برعاية الاونسكو ، لمساعدتها فاذا نحن أمام مبلغ يتجاوز المئة مليون دولار ، اذا حسبنا قيمة الأشياء التي قدمت مع الأموال . وذلك كله في عام ١٩٤٦ وهنالك جهود تبتذل وتنتظم في كندا وبريطانيا العظمى واستراليا ، في هذا السبيل . أما الأونسكو فإنه ينسق هذا التعاون العالمي ، ويراه يتسع ويتعاظم استجابة لنداءاته . واننا لننظر بعين الثقة والاطمئنان الى مساهمة سويسرا في هذا الموضوع . هذه الدولة التي عملت كثيراً في هذا المضمار .

ولقد استطعنا أن نعرف ، من ناحية أخرى ، حاجات البلاد التي أصابتها الحرب ، من وجهة الوسائل الفنية ، كالصحافة ، والمذياع ، والسينما . ولقد تقدمت لجنة خبراء ، كان ممثل سويسرا فيها السيد (رونه دوفاس René Dovas) مدير اذاعة جنيف ، باقتراح إنشاء قرض عالمي غايته مدّ البلاد التي قاست من الحرب أسوأ التخريب ، بحاجاتها من هذه الناحية .

وعندما ننتهي من هذا المشروع ، نأمل أن نحصل على مخصصات مالية ، دولية ،

تتيح للبلاد الفقيرة بالقطع النادر، أن تشتري من الخارج الأدوات الفنية والعلمية التي تحتاج اليها، مقابل بعض التسهيلات في الشئون الثقافية، كإنشاء منح دراسية، أو منح للسياحة .

وهكذا نأمل أن نرى المبادلات الثقافية العالمية، بمنجى من ظروف الضغط الاقتصادي والنقدي، التي ما زالت تشلها، منذ نهاية الحرب .

والهدف الثاني للأونسكو، هو أن يساعد، بكل الوسائل الممكنة، على إعادة وتقوية الحياة الفكرية الى سابق عهدها، بين الأمم، وذلك بتسهيل انتقال الأفكار والرجال عبر الحدود .

ويريد الأونسكو بمساعدة الدول المنضمة اليه، ان ينشيء مشروعاً واسعاً للمبادلات، بحيث لا يستفيد منه الطلاب والأساتذة فحسب، بل العمال ورجال الصناعة، وممثلو الفنون والآداب أيضاً . ولا شك أن التفاهم الدولي انما يستند، آخر الأمر، الى علاقات صداقية محسوسة تنشأ بين الأفراد . وفي تقارب الناس مدعاة الى تقارب الأفكار . وليس بالامكان أن نقدر أهمية توسع هذه المبادلات بعد هذه الحرب التي قطعت كثيراً من الاتصالات الثمينة بين ممثلي مختلف البلدان، ومختلف الثقافات .

ويجب بعد ذلك أن تحذف — بمعونة السلطات الوطنية والعالمية المختصة — كل العقبات التي تحول دون انتقال الأفكار والأخبار من بلد الى أخرى . وهذه العقبات قد نشأت عن التقنين الاقتصادي، والحواجز المكسية، والتجنيد والرقابة، او عن غير ذلك من الأسباب التي تساهم في عزل الشعوب بعضها عن بعض .

وهنا يبدو الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة، والإذاعة، والسينما، في التعليق على ما تحققه كل دولة من الدول من أعمال، في قضايا التربية والعلم والثقافة، ووصفه وصفاً حسناً، وذلك عندما توضع هذه الوسائل في خدمة التعاون العالمي .

وسوف يتقدم الأونسكو بمساعدته لكل الدول التي لم تستطع بعد أن تنمي هذه الوسائل الحديثة في نشر الأفكار . ولن يهمل أي وسيلة يمكن استخدامها في الإخبار عن تطور الحياة الثقافية لكل أمة من الأمم . وسوف تنظم مبادلات لمناهج الاذاعة على مقياس واسع ، كما سيشجع انتاج الأشرطة التربوية التي توضح ما يتحقق من تقدم في أمور التربية ، ويؤمن تبادلها بين أجزاء العالم . أما في عالم الصحافة فان الأونسكو سيشجع المختصين على كتابة مقالات قيمة غايتها بيان ما قدمت كل أمة من الأمم للثقافة والفن . ولا يفوتني أن اذكر أن الاونسكو قد خلق مؤسسة دولية للصحافة ، وأن أذكر المساعدة التي يقدمها لمنظمة الأمم المتحدة في سبيل الدعوة الى اجتماع دولي ، يخصص للبحث في حرية نقل الأخبار .

والهدف الثالث للأونسكو هو تعزيز التعاون الدولي في أمور التربية

وبعني ذلك أن الأونسكو سيشجع الدول المنضمة اليه ، والتي لم تبلغ شعوبها الدرجة الثقافية المناسبة ، على بذل الجهود الكافية لتحقيق هذه الغاية . وسوف يقدم لها كل مساعدة ممكنة في سبيل انشاء نظام تعليمي ديمقراطي ، يكون حجر الزاوية فيه الحصول على التعليم الابتدائي الاجباري والمجاني معاً .

وسوف يقوم الاونسكو ، في البلاد التي تطرح فيها المشكلة التربوية بشكل جاد ، بعمل تجريبي في مضمار التربية الأولية الأساسية . ولا تقتصر هذه التربية على مكافحة الأمية فحسب ، بل إنها تشتمل على منهاج تربوي عام ذي وجهة اجتماعية من ناحية ، واقتصادية من ناحية أخرى (كالعناية بالتربية الصحية ، والتربية المهنية ، والزراعية . الخ) . والهدف من هذا المنهاج رفع مستوى المعيشة في الشعوب البدائية ، من كل الوجوه . وسوف تحقق هذه المشاريع التجريبية خلال العام ١٩٤٨ ، بالتعاون مع الدول ذات العلاقة في هائيتي ، وافريقيا البريطانية الشرقية ، والصين ، وأمريكا اللاتينية . وبفضل هذه التجارب ،

يستطيع الأونسكو أن يساهم في إنشاء طرائق تربوية مناسبة لحاجات الشعوب المختلفة، وملائمة لعقلياتها. وبذلك يستطيع باعتباره مركزاً للاطلاع والتنظيم ان يلعب دوراً هاماً في الحركة التربوية الكبيرة التي تنمو وتتسع في أرجاء هذا العالم.

وسيكمل هذا البرنامج، ببرنامج آخر، غايته دعم الوسائل التربوية التي تؤدي الى التفاهم الدولي، وبمجموعة مشاريع تهدف الى تعزيز التعاون الدولي في ميدان تعليم الكهول، والتوجيه المسلكي، والتعليم الجامعي. وسوف نبذل ما يجب من الجهود لخلق مؤسسة عالمية تضم كل الجامعات، بحيث نستطيع بالتعاون معها أن نحل المشاكل المختلفة، كمشكلة تعادل الشهادات وغيرها. وسوف نقوم ببحث خاص غايته معرفة الدور الذي تلعبه الجامعة في الحياة الحديثة.

ولقد كانت العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية، منذ البدء، موضع اهتمام كبير في أوساط الاونسكو. ولقد تحقق لنا من ذلك شيء ايجابي، أصبح الاونسكو بفضله مركزاً عالمياً للاتصال العلمي.

وهكذا نرى الأونسكو يمنح لجنة الاتحادات العلمية الدولية، كل معونة مادية ومعنوية. ولقد أتاحت هذه المعونة لهذه الاتحادات العلمية الدولية أن تنشط من جديد، وان تتابع عقد مؤتمراتها، وطبع مذكراتها، والعناية بأبحاثها.

ولقد أنشئت في الصين، والشرق الأدنى، وأمريكا اللاتينية، مراكز للتعاون العلمي، غايتها أن تقرب بين علماء هذه البلاد وبين مراكز الفعاليات العلمية الكبيرة، وأن تتيح لها الحصول على معلومات دقيقة في كل ما يتحقق من تقدم العلوم في البلاد الأخرى.

وسوف يُنشأ في البرازيل، بمعونة الاونسكو وطلبه، مؤسسة دولية للبحث في منطقة الأحراج الأمازونية، وتتمتع هذه المؤسسة باهتمام كبير في أمريكا اللاتينية. وسوف تكون أول مثل للتعاون العلمي، الذي ينشأ بدعوة الأونسكو وبالتعاون مع مؤسسات مختصة أخرى.

وليس المجال متسعاً للتبسط في ذكر تفاصيل منهاج عملنا ، فيما يتعلق بالفنون والآداب ، والفلسفة والعلوم الاجتماعية .

وأحب أن أذكر ، مع ذلك ، أن الاونسكو ، بعد أن وُفِق إلى إنشاء مؤسسة عالمية للمسرح ، قد دُعي الى خلق مؤسسة دولية أخرى للموسيقى . والبحث الآن جار في تفاصيل مشروع غايته ترجمة الكتب النفيسة ، من أية لغة كانت ، الى اللغات الحية الكبرى . وهذا مشروع طلبت الأمم المتحدة البحث فيه . ثم إن هناك بحثاً يهيأ في سبيل معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه الفنون في التربية العامة . وسوف تطبع قريباً نتائج بحث يتعلق بمعرفة وايضاح الأسس الفلسفية لحقوق الانسان . ولقد تم هذا البحث بالتعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .

* * *

إن هذه اللمحة السريعة ، قد أشارت إلى أهم المسائل التي يعني بها الأونسكو ويحاول تحقيقها ، كما انها أشارت إلى ما في منهاج العمل من تنوع وغنى ؛ إلا أن هذا التنوع لا ينفي وحدة الغاية ، إذ الغاية أولاً وأخيراً ضمان السلم وحمايته من الأخطار بتعزيز التعاون في حقول التربية والعلم والثقافة .

وليس من شأننا أن نتعلق بأهداب الوهم : فالأونسكو لا يستطيع أن يفعل العجائب ، أو يحدث المعجزات . إذ ان عمله عمل طويل المدى ، وهو يقتضي تعاوناً قوياً بين كل هؤلاء الذين لا يسلمون بحتمية الحرب . ويعتقدون أن في وسع الإنسان أن يتغلب على قوى البغضاء والانقسام التي تهدد العالم .

جوليان هوكسلي **المترجم : حافظ الجمالي**

المدير العام للأونسكو

الورق أو الكاغد

صناعته في العصور الاسلامية

محتويات البحث :

تمهيد — مواد الكتابة قبل صنع الورق — أوراق البردي (القراطيس) — الجلود والرقوق — الورق (الكاغد) — الورق السمرقندي — انواع الورق — صناعة الورق في العراق — صناعة الورق في بلاد الشام — صناعة الورق في الديار المصرية — صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس — صناعة الورق في بلاد فارس — مقادير قطع الورق — المؤلفات القديمة في صناعة الورق — آداب صناعة الورق — ختام البحث .

١ — تمهيد

لا مراء في انّ « الورق » من أهمّ المواد التي ساعدت البشر على السير بخطىً واسعة في مضمار العلم والحضارة . فكانت العلوم والآداب ، قبل أن يتوصّل الناس الى صنع الورق ، ضيقة النطاق ، محدودة المناحي ، محصورة في طبقة معيّنة من الناس . ذلك انّ المواد المتخذة للكتابة في تلك العصور الخوالي ، لم تكن مما يسهل استعماله وحمله ولا مما يتيسر اختزانه بالوجه الذي نراه في الورق .

٢ — مواد الكتابة قبل صُنع الورق

وقد اتخذت الأمم القديمة مواد مختلفة لتدوّن فيها ما عندها من علوم وفنون وغير ذلك مما تقتضيه الحياة اليومية .

ومن أقدم المواد التي اتخذها الأقدمون للكتابة « الطين » . فكانوا يصنعونه قوالب ، ويكتبون عليه في حال طراوته ، ثم يجففونه بالشمس أو يطبخونه بالنار .

وقد عثر المنقبون في العراق وفي غيره من بلدان الشرق الأدنى، على عشرات آلاف ألواح الطين، المكتوبة بالخطوط المسمارية، تلك الخطوط التي كُتبت بها جملة لغات قديمة بائدة، كالسومرية والأكدية والآشورية وغيرها .

ومن تلك المواد : «الحجر» . وهو مادة أقوى من الطين على البقاء، غير انها أثقل وزناً . وكلتا هاتين المادتين، أعني الطين والحجر، لا يمكن الاكثار منها، لصعوبة حملها ولضخامة حجمها .

وهنالك من المواد الأخرى، شيء كثير يتعذّر حصره . فقد وصف أبو الريحان البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) ما كان يتخذه أهل الهند القدماء لكتابتهم، قال : «فالهند، أما في بلادهم الجنوبية، فلهم شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراق في طول ذراع وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها تاري، ويكتبون عليها، ويَضُمّ كتابَهم منها خيطٌ ينْظِمها من ثقبةٍ في أوساطها فينفذ في جميعها . وأما في واسطة المملكة وشمالها، فانهم يأخذون من لحاء شجرة التوز الذي يُستعمل نوعٌ منه في أغشية القسيّ ويسمونه بهوج، في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملاً كالتدهين والصقل يصلبُ به ويتملس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة يُعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب پوتي، ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضاً»[1] .

وذكر المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٥ هـ — ٩٥٦ م) ضرباً آخر مما كان يُكتب فيه في الهند، وهو «الكاذي» . ولم يتحقق عندنا ما إذا كان الكاذي هو «التاري» الذي وصفه البيروني أعلاه . قال المسعودي : «وكان كتابه [كتاب

(١) تاريخ الهند (= تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) للبيروني (ص ٨١، طبعة سخو، ليبسك ١٩٢٥) .

ملك الهند الى ملك الفرس كسرى أنو شروان] في لحاء الشجر المعروف بالكاذي، مكتوب بالذهب الأحمر . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين، وهو نوع من النبات عجيب، ذو لون حسن وريح طيبة، لحاؤه أرق من الورق الصيني، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند»[١] .

وقد اختلفت الأمم الغابرة في المواد التي اتخذتها للكتابة عليها، وهي مواد، مهما قيل في بقائها على مر السنين، فانها من وجهة عملية لا يمكن اتخاذها على الدوام، لقلتها وثقلها وكبر حجمها على ما بيناه سابقاً . فلا غرو أن يكون عمرها — مهما طال — قصيراً محدوداً . قال ابن النديم (المائة الرابعة للهجرة) : «... ثم كتبت الأمم بعد ذلك برهةً من الزمان في النحاس والحجارة للخلود ...[٢] وكتبوا في الخشب وورق الشجر ... وكتبوا في التوز الذي يعلى به القسي أيضاً للخلود ... ثم دُبغت الجلود فكتبت الناس فيها . وكتب أهل مصر في القرطاس المصري، ويُعمل من قصب البردي ... والروم تكتب في الحرير الأبيض[٣] والرَّق وغيره وفي الطومار[٤] المصري وفي الفلجان وهو جلود الحمير الوحشية . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم . والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض وفي العسب عسب النخل . والصين في الورق الصيني ويُعمل من الحشيش وهو أكثر ارتفاع البلد . والهند في النحاس والحجار وفي الحرير الأبيض»[٥] .

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٢٠٢) طبعة باريس .

(٢) نضع نقطاً (...) في مواضع الحذف .

(٣) جاء في تاج العروس (٧ : ٩٥) ، ان « المُهْرَق : ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويُصقل ويُكتب فيه . وفي شرح معلّقة الحرث بن حلزّة : كانوا يكتبون فيها قبل القراطيس بالعراق » .

(٤) الطومار : الصحيفة أو الورقة . وهي لفظة دخيلة يونانية الأصل .

(٥) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة فلوجل ليبسك = ص ٣١ – ٣٢ طبعة مصر) .

وقد أورد القلقشندي (المتوفى سنة ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) كلاماً شبيهاً بما أثبتناه أعلاه ، اكتفينا بالتنويه به [١] .

لقد خطا البشر خطوة واسعة في تحسين مواد الكتابة ، حين أخذوا يكتبون على أوراق البردي (Papyrus) ولنقلْ كلمة في هذا الموضوع ، نظراً الى انّ أوراق البردي كانت فتحاً جديداً في مواد الكتابه .

٣ — اوراق البردي ـ القراطيس

عُني غير واحدٍ من الباحثين المستشرقين بدراسة أوراق البردي وكيفية صنعها . قال ألفرد بتلر : « كان في مصر السفلى ، عدد عظيم من غياضٍ فسيحة تنبت البردي ، ذلك النبات الطويل الحسن . وكان الورق يُتّخذ من لبابه ، يشقّ شرائح تُجعل منها صحائف بالضغط ، ثم تُصقل بآلة من العاج . وكانت الصحائف بعد ذلك يُوصَل بعضها ببعض ، فتكون لفائف يسهل استعمالها . وكانت مقادير عظيمة من البردي تصدر من مصر من مرمى الاسكندرية المزدحمة . ولسنا ندري متى ضعف أمر هذه التجارة ولا الأسباب التي أدّت الى القضاء على هذا النبات في مصر » [٢] .

فكانت مصر ، البلد الذي يمدّ سائر الأقطار بأوراق البردي ، منها تُنقل الى بلاد الروم [٣] والى غيرها من الجهات .

وأوراق البردي كانت تُعرف في كثير من المراجع القديمة باسم « القراطيس » ، فذكر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م) ، انّ من خصائص مصر : « القراطيس ، وهي الطوامير . وهي أحسن ما كُتب فيه . وهو من حشيش أرض مصر ، ويُعمل طوله : ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض شبر » [٤] .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ — ٤٧٦) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ٤١٢) .
(٢) فتح العرب لمصر (ص ٩٥ من الترجمة العربية لمحمد فريد أبو حديد) .
(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٠ طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٦٦) .
(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢ : ١٧٣ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ) .

والى قراطيس مصر، أشار بعض الشعراء :

حملت اليك عروس الثناء على هودج ماله من بعير

على هودج من قراطيس مصـ ـر يلين على الطي لين الحرير [١]

وأشار ابن حوقل الى وجود البردي في جزيرة صقلية، وابن حوقل من أشهر البلدانيين العرب في المائة الرابعة للهجرة، قال : « وفي خلال أراضيها بقاعٌ قد غلب عليها البربيرُ، وهو البردي المعمول منه الطوامير، ولا أعلم لِما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض، إلا ما بصقلية منه، وأكثره يُفتل حبالاً لمراسي المراكب، وأقلّه يُعمل للسلطان منه طوامير القراطيس، ولن يزيد على قلة كفايته » [٢] .

ونوّه البيروني بورق البردي في قوله : « إن القرطاس معمول بمصر من لبّ البردي يُبرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء الى قريبٍ من زماننا، إذ ليس ينقاد للحكِّ شيء منه وتغييره بل يفسد به » [٣] .

و « القراطيس »، واحدها « القرطاس »، وقد ورد كلاهما في القرآن الكريم [٤] . وعدّه بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة . قال الجواليقي : « والقرطاس (بضم القاف وكسرها) ، قد تكلموا به قديماً [٥] . ويقال ان أصله غير عربيّ » [٦] .

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص ٤٢١ ، القاهرة ١٩٠٨) .

(٢) صورة الأرض لابن حوقل (١ : ١٢٢ – ١٢٣ طبعة كريمزر ، ليدن ١٩٣٨) .

(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

(٤) سورة الأنعام (الآية ٦ و ٩٠) .

(٥) نقل الصولي كثيراً من الأقوال القديمة الواردة في القرطاس . (انظر : أدب الكتّاب ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .

(٦) المعرّب للجواليقي (ص ٢٧٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر) ، وانظر : شفاء الغليل للخفاجي (ص ١٨٠ ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٢ هـ) .

قلنا : واللفظة من اليونانية (Chartes) ومعناه ما يكتب فيه ، ويقابله في العربية ورقة وصحيفة [١] .

اتخذ المسلمون أوراق البردي للكتابة عليها في أوائل عصور تاريخهم . ولقد عُثر في المائة سنة الأخيرة ، على جملة صالحة من أوراق البردي العربية ، كُشف عليها في مصر . وقد أماطت اللثام بنصوصها الثمينة عن كثير مما يتعلّق بالادارة الاسلامية للقطر المصري [٢] .

وممن عُني من المستشرقين بدراسة أوراق البردي العربية ، كراباسك (J. Karabacek) وبكر (C. H. Becker) وغيرهما . ولعلّ أعظم المتوغلين في هذا الموضوع في عصرنا ، هو العلامة جروهمان (A. Grohmann) الذي درس ونشر جملةً من أوراق البردي العربية المحفوظة في ڤينّة والقاهرة [٣] وغيرهما .

* * *

ظل استعمال القراطيس قائماً في العراق مدة طويلة بعد الفتح الاسلامي . فذكر ابن عبدوس الجهشياري (المتوفى سنة ٣٣١ هـ — ٩٤٢ م) ، انّ الخليفة أبا جعفر المنصور ، باني مدينة بغداد « وقف على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح ، صاحب المصلى ، فقال له : إني أمرتُ باخراج حاصل القراطيس في خزائننا ، فوجدته شيئاً كثيراً جداً ، فتولَّ بيعه ، وإن لم تُعطَ بكل طومار إلا دانقاً [٤] ، فان تحصيل ثمنه أصلح منه . قال صالح : وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم ، فانصرفتُ من حضرته على هذا . فلما كان في الغد ،

(١) انظر : Dozy, Supplément aux Dictionnaires Arabes. (Vol. 2, p. 331) وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية للقس طوبيا العنيسي (ص ٥٥ ، بالقاهرة ١٩٣٢) .

(٢) محاضرات عن الأوراق البردية العربية لجروهمان وتعريب توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٠) .

(٣) Grohmann, Arabic Papyri in the Egyptian Library. (3 vols., Cairo, 1934 - 38) والمجلد الأول منه ، نقله مؤلفه الى العربية ، باشتراك الدكتور حسن ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٣٤) .

(٤) الدانق ، سدس الدرهم .

دعاني ، فدخلتُ عليه ، فقال لي : فكرتُ في كتبنا ، وانها قد جرت في القراطيس ، وليس يُؤمَن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج الى أن نكتب فيما لم نعوّده عُمالنا . فدع القراطيس استظهاراً على حالها . ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرقّ ، وتقول : لا نكتب في شيء ليس من بلادنا » [1] .

وقد كان في الجانب الغربي من بغداد ، أعني في الكرخ ، درب يُعرف بدرب القراطيس ، أو درب أصحاب القراطيس ، ذكره غير واحدٍ من الكتبة الأقدمين ، كالجاحظ [2] والطبري [3] والخطيب البغدادي [4] وعمرو بن متى [5] وماري بن سليمان [6] وغيرهم . ولم يشيروا إلى هل كانت القراطيس تُصنع في هذا الدرب ، أم كانت تُباع فيه ؟

وذكر ابوسعد السمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ـ ١١٦٦م) في مادة «القراطيسي» ، ان « هذه النسبة الى عمل القراطيس وبيعها » [7] . ثم ذكر غير واحدٍ ممن عُرف بهذه النسبة ، وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم اليها . فلعل نسبتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس ، أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها .

وأورد الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م) ، تراجم سبعة رجال عُرف كل منهم بـ « القراطيسي » . وأمرهم أمر من ذكرهم السمعاني في استبهام نسبتهم ، إذ انّ الخطيب لم يُفصح عن ذلك في تراجمهم المقتضبة [8] .

---

(١) الوزراء والكتّاب للجهشياري (ص ١٣٨ طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨) .

(٢) المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ (ص ٣٣٦ و٣٣٧ طبعة فان فلوتن ، ليدن ١٨٩٨).

(٣) تاريخ الطبري (٣ : ٩٩٩ طبعة دي غويه) .

(٤) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (٩ : ٨٦) .

(٥) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١١٩ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٦) .

(٦) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ٨٥ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٩) .

(٧) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٤٥ طبعة مرجليوث ، ليدن ١٩١٢) .

(٨) تاريخ بغداد للخطيب (٢:٩١ ، ٤:٤٣٠ ، ١١:٢٣٣ ، ١٢:٣ و١٥١، ١٣:٤٥).

وقد انتقلت صناعة القراطيس الى مدينة سامراء في أيام المعتصم . فذكر اليعقوبي (المتوفى في أواخر المائة الثالثة للهجرة)، ان المعتصم، حين ابتنى مدينة سامراء، أقدم جماعاتٍ من أرباب المِهَن والصنائع، لتعمر بهم مدينته، ومن جملتهم انه «حمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس، فعملوها، فلم يأتِ في تلك الجودة»[1] .

٤ — الجلود والرقوق[2]

ولم تقصر مواد الكتابة على ما ذكرنا، بل اتخذ الناس من جلود الحيوان مادةً حسنة للكتابة، تعيش دهراً طويلاً قبل ان ينالها البلى .

وبعض الجلود الخفيفة، اذا خُدمت بالدباغة والصقل، كان منها الرقوق النفيسة التي يُعد بعضها آية في الصناعة، لجماله وخفته ولينه .

لقد كانت الرقوق مستعملةً قبل الاسلام، ثم اتخذت في صدر الاسلام، بيد ان ثمنها العالي حدَّد من استعمالها وحصره في نُسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود وغير ذلك . قال البيروني في معرض كلامه على مواد الكتابة عند الأقدمين: «وليس للهند عادة بالكتابة على الجلود كاليونانيين في القديم . فقد قال سقراط حين سُئل عن تركه تصنيف الكتب: لستُ بناقلٍ للعلم من قلوب البشر الحية الى جلود الضأن الميتة . وكذلك كانوا في أوائل الاسلام يكتبون على الأُدُم، كعهد الخيبريين من اليهود، وككتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى، وكما كُتبت مصاحف القرآن في جلود الظباء والتوراة تكتب فيها أيضاً»[3] .

(١) تاريخ اليعقوبي (٣ : ٥٧٧ طبعة هوتسما، ليدن ١٨٨٣)، والبلدان لليعقوبي (ص ٢٦٤ طبعة دي غويه، ليدن ١٨٩٢) .

(٢) من أنفس ما قرأناه في هذا الباب، مقال للأستاذ المحقق الكبير حبيب زيات، عنوانه «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام» (مجلة «الكتاب» يولية ١٩٤٧، ص ١٣٥٨ — ١٣٦٦) وقد أغنانا هذا البحث عن الاطالة فيه ها هنا .

(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

وما زال في كثير من خزائن الكتب في بلدان الشرق والغرب ، أسفار مختلفة مكتوبة على الرقوق ، باليونانية واللاتينية والإرمية والعبرية والعربية وغيرها من اللغات .

٥ — الورَق — الكاغَد

«الكاغد» ، بفتح الغين ، لفظ فارسي[١] ، و «الكاغذ» بالذال المعجمة لغة فيه ، ولعل الكلمة من أصل صيني . وقد ورد ذكر «الورق» و «الكاغد» أو «الكاغذ» ، مراراً لا تُعدّ ولا تُحصى في المراجع العربية القديمة . بيد انّ كيفية صنعه ، والمواد التي يُصنع منها ، والأقيام التي كان يقوم بها ، كلّ ذلك أمور قلّ ان تحفل بها مؤلفات الأقدمين . وغاية ما في الأمر ، إشارات وتلميحات خاطفة ، يمكن من جمع بعضها الى بعض أن يقوم موضوع دراسة للورق في العصور الاسلامية .

وحينما توصّل الناس الى صُنع الورق ، ورأوا منه مادةً خفيفة لينة ، سهلة الحمل والنقل ، لا تتطلب حيزاً كبيراً ، أكثروا منه إكثاراً عظيماً ، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة .

٦ — الورَق السمرقنديّ

والمشهور في التاريخ ، ان أهل الصين كانوا أول مَن عرف صناعة الورق . وكان «الورق الصيني» يستورده التجار العرب الذين كانوا على اتصال تجاري قديم ببلاد الشرق الأقصى .

ولكن بدء صنع الورق في العالم الاسلامي ، كان من نتائج بعض الحروب . وأول مدينة اسلامية صُنع فيها الورق ، كانت سمرقند ، التي فتحها العرب سنة ٨٧ للهجرة (٧٠٤ م) . وسمرقند من أشهر مدن ما وراء النهر وأجلّها شأناً .

قال الثعالبي (وفاته سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) في كلامه على ما يُضاف الى

(١) الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير (ص ١٣٦ ، بيروت ١٩٠٨)

البلدان والأماكن من فنونٍ شتى ، انَّ « كواغد سمرقند : هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين . وذكر صاحب المسالك والممالك ، انه وقع من الصين الى سمرقند في سبيٍ سباه زياد بن صالح ، في وقعة أطلح ، مَن يصنع الكواغيد ، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعمَّ خبرها والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق[١] .

فهذه الواقعة ، التي جرت بين العرب بقيادة زياد بن صالح ، وبين أمراء الترك وحلفائهم الصينيين كانت على ضفاف نهر طراز سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) ، وقد أشارت اليها المراجع العربية ومثلها الصينية . فهؤلاء الأسرى الصينيون الذين جيء بهم الى سمرقند لا بدَّ ان يكونوا قد أُسروا في تلك الحادثة .

ونقل القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) ما يشبه كلام الثعالبي الذي أوردناه آنفاً ، بقوله : « وبسمرقند من الأشياء الظريفة تُنقل الى سائر البلاد . منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلاَّ بالصين . وحكى صاحب الممالك والمسالك ، انه دُفع من الصين الى سمرقند سبيٌ ، وكان فيهم مَن يعرف صنعة الكاغد ، فاتخذها ، ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند . فمنها تُحمل الى سائر البلاد »[٢] .

ولم يتعين عندنا أي كتابٍ هذا الذي نقل عنه الثعالبي والقزويني ، ووسماه بالمسالك والممالك . فبين يدينا الآن ثلاثة أسفار عناوينها من هذا القبيل :

الأول : كتاب مسالك الممالك للاصطخري .

الثاني : كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (وطُبع ثانيةً بعنوان « صورة الأرض ») .

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص ٤٣١ — ٤٣٢) ، وانظر : لطائف المعارف للثعالبي (ص ١٢٦ طبعة دي يونغ ، ليدن ١٨٦٧) ، وتاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص ٣٦٠ طبعة وستنفلد ، غوتنجن ١٨٤٨) .

الثالث : كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه .

وهذه الكتب الثلاثة قد طُبعت ضمن مجموعة « الخزانة الجغرافية العربية » في ليدن .

ولم نجد في أيّ واحدٍ منها شيئاً من هذا الكلام المنقول . فهلاّ يكون الثعالبي والقزويني قد نقلا من كتابٍ آخر غير ما ذكرنا، لا سيما ان في المراجع القديمة [1] الباحثة في أحوال الكتب وصفاتها ، ذِكراً لمؤلفاتٍ عديدة عُرفت بالمسالك والممالك .

وقد أشار النويري الى الورق السمرقندي ، وعدّه من خصائص هذه المدينة . قال في كلامه على سمرقند : « ومن خصائصها : الكواغد التي عطلت قراطيس مصر والجلودَ التي كان الأوائل يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق . ولا تكون إلا بها وبالصين » [2] .

وممن تطرّق لذكر ورق سمرقند ، ابن الوردي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨م) . ففي الفصل الذي خصّه بأعاجيب البلدان ، لم يفته أن ينوّه بأعاجيب سمرقند قائلاً : «ومن خصائصها : الكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض، والجلود والرقاق التي لا توجد في الدنيا . وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ لحسنها ولينها وإقامتها » [3] .

ولقد ضُربت الأمثال بكاغد سمرقند ، نظراً الى جودته ونفاسته . ومما قرأناه في هذا الشأن ، ما ورد في رسالة لأبي بكر الخوارزمي بعث بها الى أبي الحسين علي بن داية ، وقد تأخرت عنه رسائلة : « ... أم لأنّ سمرقند بعدتْ عليه ، والكاغد عزّ لديه ؟ فأنا أجهّز اليه قوافل تحمل من الكاغد أوقاراً ، ويتصل مني اليه قطاراً قطاراً » [4] .

(١) الفهرست لابن النديم (في مواطن عديدة متفرّقة) ، وكشف الظنون للحاج خليفة (٢ : ١٦٦٤ - ١٦٦٥ طبعة وزارة المعارف التركية) .
(٢) نهاية الأرب للنويري (١ : ٣٥٤ طبعة دار الكتب المصرية) .
(٣) خريدة العجائب لابن الوردي (ص ٢٣١ طبعة محمد شاهين ، القاهرة ١٢٨٠ هـ) .
(٤) رسائل أبي بكر الخوارزمي (ص ٢٥ طبعة الجوائب ، الاستانة ١٢٩٧ هـ) .

وقد قطع أبو سعد السمعاني بكون الكاغد لا يُعمل في المشرق إلا في هذه المدينة قال في مادة «الكاغذي» ، «هذه النسبة الى عمل الكاغد الذي يُكتب عليه وبيعه . ولا يُعمل في المشرق إلا بسمرقند»[1] .

ونقل ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) ، في ترجمة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات المعروف بابن حنزابة ، المتوفى سنة ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م) ، انه كان يستورد الورق من سمرقند لاتخاذه فيما يستنسخه له الورّاقون لخزانته ، قال : «قال محمد بن طاهر المقدمي : سمعتُ أبا اسحاق الحبال يقول : كان يُستعمل للوزير أبي الفضل ، الكاغد بسمرقند ويُحمل اليه الى مصر في كل سنة . وكان في خزانته عدّة من الورّاقين ، فاستعفى بعضهم ، فأمر بأن يحاسَب ويُصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد الى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء . قال : وسمعتُ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال يقول : خرج ابو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ ، لم يبقَ منهم غيري . وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب ، وكتبها في كاغد عتيق . فسألتُ الحبال عن الكاغد ، فقال : هذا من الكاغد الذي كان يُحمل للوزير من سمرقند ، وقعت اليّ من كتبه قطعة ، فكنتُ اذا رأيتُ فيها ورقة بيضاء قطعتها ، الى أن اجتمع هذا . فكتبتُ فيه هذه الفوائد»[2]

ونقل السيوطي قول بعضهم «قراطيس سمرقند لأهل المشرق ، كقراطيس مصر لأهل المغرب»[3] . والمراد هنا بقراطيس سمرقند كاغدها .

ولما كانت سمرقند من أعمال ما وراء النهر ، سرَت شهرتها في صنع الورق الى تلك الديار . فقد أطرى بعض الكتّاب البلدانيين ما وراء النهر لاشتهارها

(١) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٧٢) .
(٢) معجم الأدباء (٢ : ٤١٢) طبعة مرجلوث) .
(٣) حسن المحاضرة (٢ : ١٧٣) .

بالكاغد . من ذلك ما أورده ابن حوقل في أهلها « ... ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة »[١] .

ومثل ذلك ما ذكره الاصطخري (وهو ، كابن حوقل ، من أهل المائة الرابعة للهجرة) بقوله : « وليس في شيء من بلدان الاسلام النوشاذر والكاغد ، إلا فيما وراء النهر »[٢] .

٧ – أنواع الورق

اتخذ العرب القطن ومواد نباتية أخرى في صنع الورق . وليس من شك في ان اختلاف المواد الأولية للورق ، أدّى الى ظهور جملة أنواع من الورق ، تختلف في ثخاناتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها . قالوا : « وأحسن الورق ، ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً ، متناسب الأطراف ، صبوراً على مرور الزمان »[٣] .

وقد ذكر ابن النديم ، ستة أنواع من الورق كانت معروفة في زمانه . قال بعد أن وصف أصناف المواد التي اتخذتها الأمم القديمة للكتابة عليها : « فأما الورق الخراساني ، فيعمل من الكتان ، ويقال انه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل انه قديم ، وقيل انه حديث ، وقيل انّ صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . فأما أنواعه : السليماني ، الطلحي ، النوحي ، الفرعوني ، الجعفري ، الطاهري »[٤] .

هذا ما كان شائع الاستعمال من ضروب الورق في البلدان الاسلامية ، في أواخر المائة الرابعة للهجرة .

فالورق السليماني ، منسوب الى سليمان بن راشد ، الذي كان والياً على خراسان في أيام هرون الرشيد[٥] .

(١) صورة الأرض لابن حوقل (٢ : ٤٦٥) .
(٢) مسالك الممالك للاصطخري (ص ٢٨٨ ، طبعة دي غويه ، ليدن ١٩٢٧) .
(٣) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .
(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة ليبسك = ص ٣٢ مصر) .
(٥) تاريخ الطبري (٣ : ٧٤٠) .

والورق الطلحي ، ينسب الى طلحة بن طاهر ، ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان . وقد حكم من سنة ٢٠٧ الى ٢١٣ ه (٨٢٢ — ٨٢٨ م) .

والورق النُوحي ، كأنه منسوب الى « نوح » الساماني ، أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت تركستان وفارس . وقد قام في هذه الدولة اثنان بهذا الاسم :

أولهما : نوح الأول الساماني ، وقد حكم من سنة ٣٣١ الى ٣٤٣ ه (٩٤٣ — ٩٥٤ م) .

ثانيهما : نوح الثاني الساماني ، حكم من سنة ٣٦٦ الى ٣٨٧ ه (٩٧٦ — ٩٩٧ م) .

ولم يتحقق عندنا الى أيهما نُسب هذا الصنف من الورق .

أما الورق الفرعوني ، فضربٌ آخر نافس ورق البردي حتى في عقر داره . وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مدوّنةً في هذا الورق ، يرتقي تاريخها الى سنة ١٨٠ — ٢٠٠ ه (٧٩٦ — ٨١٥ م)[١] .

ولكن استعمال هذا الورق ، لبث مئات سنين بعد هذا التاريخ . فقد ورد في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ ه - ١٠٣٦ م) قول تلميذٍ له : « ... وأمرني الشيخ باحضار البياض[٢] وقطع أجزاء منه ، فشددتُ خمسة أجزاء ، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني »[٣] .

والورق الجعفري ، نُسب الى جعفر البرمكي الذي قُتل سنة ١٨٧ ه (٨٠٢ م) حين نكبة البرامكة .

والورق الطاهري ، وهو يُنسب الى طاهر الثاني ، من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان ، وكان حكمه من سنة ٢٣٠ الى ٢٤٨ ه (٨٤٤ — ٨٦٢ م) .

وأشار ياقوت الحموي الى « الارق الجَيْهاني »[٤] و « الورق المأموني »[٥] .

(١) دائرة المعارف الاسلامية (مادة : كاغد) .
(٢) يريد به الورق .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢ : ٨)
(٤) معجم البلدان (٢ : ٩٥ طبعة ليبسيك) .
(٥) معجم الأدباء (٦ : ٢٨٥) .

فأولها يُنسب الى مدينة جَيْهان إحدى مدن خراسان ، وثانيهما الى الخليفة المأمون العباسي (خلافته من سنة ١٩٨ الى ٢١٨ هـ) (٨١٣ — ٨٣٣ م) .

وذكر السمعاني ضرباً آخر من الورق ، سماه «الكاغذ المنصوري» . قال : ومن عُرف بالكاغذيّ : «ابو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغذيّ ، من أهل سمرقند . واليه يُنسب الكاغذ المنصوري المشهور ببلاد خراسان . توفي سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ م) بسمرقند»[١] .

وكان لهذا الورق المنصوري شهرة بعيدة في كثير من الأقطار الاسلامية ، حتى انه صار يُصنع منه في جملة أماكن ، كالعراق ومصر ، وذلك من باب التقليد والاقتباس .

غير اننا وقفنا على ذكرٍ لورقٍ منصوري آخر ، يسبق عهده عهد الورق المنصوري الذي ألمعنا إليه . ولم يتعين عندنا الى أي منصور نُسب . فقد روى بعض المؤرّخين ، ان الوزير ابا الحسن بن الفرات (المتوفى سنة ٣١٢ هـ — ٩٢٤ م) ، كان من رسمه في أيام وزارته «أن لا يخرج أحد من داره في وقت عشاء ، إلا ومعه شمعة ودرج منصوري»[٢] .

والدرج المنصوري ، كان طبقةً من الورق تُلفّ لفاً ، وتستعمل لكتابة الرسائل وما إليها[٣] .

ومن أنواع الورق الأخرى التي لم يتحقق عندنا الى اي شيء يُنسب ، «الورق الصلحي» . وقد رأيناه مذكوراً في مخطوط في خزانتنا[٤] .

ومن ضروب الورق الأخرى ، التي لم يتعين عندنا اسمها ، ما ذكره ابو سعد السمعاني في كلامه على أبي الحسين بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان ،

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .
(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابيء (ص ٦٣ طبعة امدروز ، بيروت ١٩٠٤).
(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٤٢) .
(٤) كتاب فضل القلم والخط واعمال المداد (مخطوط في خزانتنا . وجه الورقة ٤٦) .

انّ «اليه ، يُنسب الكاغد الحسن الذي لم يلحقه مَن سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها»[١] .

وقد كان أبوعلي الكاغدي ، معاصراً للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ ﻫ (١١٦٦م) .

وعقد هلال بن المحسِّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ ﻫ — ١٠٥٦ م) ، فصلاً في «الطروس التي يُكتب فيها الى الخلفاء وعنهم» ، قال فيه : «الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ، أن تكون في القراطيس المصرية العريضة . فلما انقطع حملها وتعذَّر وجودها ، عُدِل الى الكاغد الشيطاني العريض . هذا في كتب العهود والولايات والألقاب ، وما يُكتب به الى أصحاب الأطراف وما يكتبون به . فأما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة ، فالمستحبّ فيه الكاغد النصفي»[٢] .

ولم تكن خزائن الكتب الواسعة ، تخلو في الزمن القديم من أنواع الورق الذي يُتخذ للنسخ ، بل كان في بعضها أصناف نفيسة منه ، كالذي حكاه ياقوت الحموي عن خزانة الكتب لبهاء الدولة البويهي بشيراز ، وذلك في ترجمة الخطاط الشهير المعروف بابن البوّاب ، المتوفى سنة ٤١٣ ﻫ (١٠٢٢ م) ، قال : «وحدّث في كتاب المفاوضة قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال : كنتُ أتصرّف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إليّ . فرأيتُ يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود ففتحته واذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط ابي علي بن مقلة ، فأعجبني وأفردته ، فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب الى ان اجتمع تسعة وعشرون جزءاً وبقي جزء واحد استغرقتُ تفتيش الخزانة في مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمتُ أنّ المصحف

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .

(٢) رسوم دار الخلافة لهلال الصابيء (ص ١٧٨ من المخطوط . وقد حقق ميخائيل عوّاد — أخي — هذا الكتاب وأعدّه للنشر) .

ناقص . فأفردته ودخلتُ الى بهاء الدولة وقلتُ : يا مولانا ، ها هنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها ، وهي مخاطبة ابي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا . قال : أيّ شيء هي ؟ قلت : هي مصحف بخط ابي علي بن مقلة . فقال : هاته وانا أتقدّم بما يريد . فأحضرتُ الأجزاء ، فأخذ منها واحداً وقال : أذكر وكان في الخزانة ما يُشبه هذا وقد ذهب عني . قلتُ : هذا مصحفك ، وقصصتُ عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته ، وقلتُ : هكذا يُطرح مصحف بخط ابي علي إلا انه ينقص جزءاً فقال لي : فتممه لي . قلتُ : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة انك اذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعةً ومائة دينار . قال : أفعل . واخذتُ المصحف من بين يديه وانصرفتُ الى داري ، ودخلتُ الخزانة أقلّب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من انواع الكاغد السمرقندي والصيني العتيق كلّ ظريف عجيب . فأخذتُ من الكاغد ما وافقني وكتبت الجزء وذهّبته وعتّقتُ ذهبه وقلعتُ جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعتُ منه الجلد وعتقته . ونسي بهاء الدولة المصحف ، ومضى على ذلك نحو السنة . فلما كان ذات يوم ، جرى ذكر ابي علي بن مقلة ، فقال لي : ما كتبت ذلك ؟ قلتُ بلى . قال : فأعطنيه . فأحضرت المصحف كاملاً ، فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً ، وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ، ثم قال لي : أيما هو الجزء الذي بخطك ؟ قلت له لمَ لا تعرفه فيفتر في عينك ، هذا مصحف كامل بخط ابي علي بن مقلة ونكتم سرّنا . قال : افعل ، وتركه في ربعةٍ عند رأسه ولم يُعده الى الخزانة . وأقمتُ بها مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني . فلما كان يوماً قلتُ : يا مولانا ، في الخزانة بياض صيني وعتيق ومقطوع وصحيح ، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير . قال : مرّ خذه . فمضيتُ وأخذتُ جميع ما كان فيها من ذلك النوع ، فكتبتُ فيه سنين » [1] .

---

(١) معجم الأدباء (٥ : ٤٤٦ – ٤٤٨) .

٨ — صناعة الورق في العراق

عمت شهرة الورق السمرقندي الأقطار، وظلت سمرقند تمدّ البلاد الأخرى بما تنتجه معاملها من صنوف الورق . ولكن الحال لم تدم طويلاً، فالأخبار التاريخية التي وقفنا عليها، تنبئ ان صناعة الورق لم تلبث ان خرجت من مكمنها وتسرّبت الى بعض البلدان الاسلامية، وفي طليعتها مدينة «بغداد» .

وقد أشار ابن خلدون إشارةً نفيسة في هذا الموضوع بقوله في الفصل الذي وسمه بـ «صناعة الوراقة» : «كانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التآليف صدر الملة، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان . ثم طما بحر التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقّ عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيي بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت»(١) .

فالفضل بن يحيى البرمكي، وهو من أعيان وزراء بني العباس، كان أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد . فاذا علمنا أنّ مولد الفضل كان سنة ١٤٧ هـ (٧٦٤ م)، ووفاته سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) أدركنا ان دخول صناعة الورق الى بغداد كان في نحو الربع الأخير من المائة الثانية للهجرة .

وهذه الصناعة الجديدة، طرأ عليها تحسين كبير، فلم تمضِ غير بضع سنين، حتى كان اخوه جعفر بن يحيى البرمكي، الذي أعقبه في دست الوزارة، قد أحلّ الورق محلّ الرّق في دواوين الدولة .

وقد قال القلقشندي بصدد بدء صنع الورق في العراق انه «أجمع رأي

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦، بولاق ١٢٧٤ هـ)

الصحابة، رضي الله عنهم، على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذٍ. وبقي الناس على ذلك الى ان ولي الرشيد الخلافة[١]، وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس، أمر أن لا يكتب الناس إلاّ في الكاغد: لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق، فانه متى مُحِيَ منه فسد، وان كُشط ظهر كشطه. وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الأقطار، وتعاطاها من قَرُب وبعد، واستمرّ الناس على ذلك الى الآن»[٢].

وكانت صناعة الورق ببغداد في المائة الرابعة للهجرة، زاهرة بما كان يُرى فيها من معامل تصنعه، وحوانيت تبيعه.

ذكر الصولي انّ في ذي القعدة من سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م)، «وقع بالكرخ حريق عظيم، من حدّ طاق التكك السمّاكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال»[٣].

وأشار ياقوت الحموي الى صنع الورق ببغداد في زمنه (المائة السابعة للهجرة). قال في كلامه على «دار القزّ» انها «محلة كبيرة ببغداد، في طرف الصحراء، بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ، وكل ما حولها قد خرب، ولم يبقَ إلا أربع محالّ متصلة: دار القزّ، والعتابيين، والنصرية، وشهار سوك. والباقي تلول قائمة. وفيها يُعمل اليوم الكاغد»[٤].

وزاد ابن عبد الحق (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨)، انّ دار القزّ، في الجانب الغربي من بغداد[٥].

ثم أشار ياقوت إشارة ثانية الى صنع الورق ببغداد في أيامه. قال في كلامه على «چهار سوج» انها «من محالّ بغداد، في قبلة الحربية، خرب ما حولها

(١) كانت خلافته من سنة ١٧٠ الى سنة ١٩٣ هـ (٧٨٦ - ٨٠٩ م).
(٢) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ - ٤٧٦).
(٣) أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الأوراق للصولي (ص ٢٦٠، القاهرة ١٩٣٥).
(٤) معجم البلدان (مادة: دار القزّ).
(٥) مراصد الاطلاع (مادة: دار القزّ).

من المحال، وبقيت هي والنصرية والعتابيون ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد . يعمل في هذه المحال في أيامنا هذه الكاغد»[١] .

وقد أطرى القلقشندي نفاسة الورق البغدادي، فقال: «وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه[٢] البغدادي: وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب اجزاء، وقطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة. وربما استعمله كتّاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوها[٣]» .

وفي كلامنا على أنواع الورق، كنا نوهنا بالدرج المنصوري الذي كان يعطى لمن يخرج من دار الوزير ابي الحسن بن الفرات وقت عشاء . وقد ذكر ابن الطقطقي الخبر بوجه آخر نسوقه ها هنا لفائدته في معرفة وفرة الورق يوم ذاك في العراق، قال: «وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر . قالوا: كان إذا ولي ابن الفرات، يغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك . لأنه ما كان يشرب احد، كائناً من كان، في داره في الفصول الثلاثة إلاّ الماء المثلوج، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقية، صغيراً كان أو كبيراً . وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد، كلّ من دخل واحتاج الى شيء من الكاغد اخذ حاجته منها»[٤] .

ولفظة «الكاغد» الواردة في هذا النص، جاءت بصورة «القراطيس» في نص آخر لهذا المعنى . قال هلال الصابئ: «وفي جانب الدار (دار ابن الفرات) ادراج كثيرة لأصحاب الحوائج والمتظلمين، حتى لا يلتزم احد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك، وأنصاف قراطيس وأثلاث»[٥] .

(١) معجم البلدان (ماده : جهار سوج) . وهذه المادة ذكرها في نصٍّ سابق نقلناه اعلاه بصورة : چهار سوك .

(٢) توفي القلقشندي، في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) وقد ذكرنا ذلك سابقاً .

(٣) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .

(٤) الفخري (ص ٣١٢ طبعة اهلورد، غوطا ١٨٦٠) . وقد لمّح مسكويه (تجارب الأمم ١ : ١٠٢ طبعة امدروز) الى غلاء هذه المواد الثلاث ببغداد أيام وزارة هذا الوزير .

(٥) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (ص ١٩٥) .

ما ما كان يُنفق على الورق في الشهر، في ايام المعتضد (١) فقد جاء في العمل الذي وجده هلال الصابئ، في ذكر احمد بن محمد الطائي، وما ضمنه من الأعمال وشرطه على نفسه من حمل مال الضمان مياومةً الى بيت المال، وقد شرح فيه وجوه خرج المياومة. فمن ذلك أثمان الورق، قال: «أرزاق أكابر الكتاب واصحاب الدواوين والخزّان والبوّابين والمديرين والأعوان وسائر من في الدواوين، وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ... اربعة آلاف دينار وسبع مائة في الشهر مائة وستة وخمسين ديناراً وثلثين» (٢).

٩ — صناعة الورق في بلاد الشام

بعد ان اتسع نطاق صناعة الورق في العراق، انتقلت منه الى بلاد الشام، فأنشئت فيها معامل صنعت أنواعاً نفيسة من الورق. وكانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت ما سواها من البلدان في صنع الورق. وقد زارها الرحالة الشهير ناصر خسرو في سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٧ م) واطرى ورقها بقوله انّ اهل هذه المدينة «يصنعون بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند، بل احسن منه» (٣).

ومثل هذا الاطراء لا يقع ما لم تكن تلك الصناعة قد تقدّمت في هذه المدينة تقدماً محسوساً، استرعى انظار هذا السائح الفارسي.

ومن البلدان التي تميزت بصناعة الكاغد منذ المائة الرابعة للهجرة، طبرية. وقد نوّه بذلك البشاري المقدسي (٤).

اما «دمشق» وهي أم المدائن الشامية، فقد اشتهرت بمعامل ورقها اشتهاراً بعيداً. وقد نوّه بورقها مؤرخو اليونان (٥). أما المؤرخون العرب، فقد مدحوا

(١) كانت خلافته من سنة ٢٧٩ الى ٢٨٩ هـ (٨٩٢ — ٩٠٢ م).
(٢) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (ص ٢٠ — ٢١).
(٣) سفرنامه لناصر خسرو (ص ١٣ من الترجمة العربية ليحيى الخشّاب، القاهرة ١٩٤٥).
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري المقدسي (ص ١٨٠ طبعة دي غويه، ليدن ١٩٠٦).
(٥) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥).

الورق الدمشقي وأطروا محاسنه . قال ابو البقاء البدري (وهو من أهل المائة التاسعة للهجرة) : وفيها تعمل صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقي أوصاله »[١] . والمراد بالقرطاس هاهنا الكاغد .

وكانت تجارة الورق الشامي رائجة رواجاً عظيماً ، فقد « كانت اوربة الشرقية تبتاع ورقها من بلاد الشرق الأدنى مباشرة ، على ما يشهد لذلك اسم الورق الدمشقي (شارتا داماسينا) ... »[٢] .

وقد وصف العلامة محمد كرد علي بك ورق الشام بكلام يحسن بنا إيراد بعضه في هذا المقام ، قال : « وكان الورق يصنع أشكالاً في مكابس صغيرة ، ويعمل من الخروق البالية أو الحرير ، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في سنة ٧٠٦ م رجل اسمه يوسف بن عمرو . ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتاب كتب سنة ٢٦٦ هـ على ورق يظن انه من الورق الشامي وهو أقدم مخطوط عرف بالشام ولا يزال على متانته »[٣] .

ثم تطرق الى الكلام على صنع الورق في مدينة « حلب » فقال : « وحدثني احد علماء حلب ، أن الورق كان يصنع في الشهباء . وان حياً من أحيائها لا يزال اسمه الوراقة ، حيث كانت معامل الورق . والورق الحلبي الصقيل المتين مشهور الى عهدنا »[٤] .

وقد عرف غير ما ذكرنا من بلدان الشام بصنعها للورق ، مدن اخرى كانت معامله قائمة فيها ، منها حماة ومنبج[٥] وغيرهما .

وأشار القلقشندي الى الورق الشامي ، فقال بعد كلامه على الورق البغدادي ،

(١) نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري (ص ٣٦٣ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .
(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥) .
(٣) خطط الشام (٤ : ٢٤٣) .
(٤) خطط الشام (٤ : ٢٤٤) .
(٥) خطط الشام (٤ : ٢٤٢) .

« ودونه في الرتبة الشامي . وهو على نوعين : نوع يُعرف بالحموي ، وهو دون قطع البغدادي . و (نوع) دونه في القدر ، وهو المعروف بالشامي ، وقطعه دون القطع الحموي » [(١)] .

وفي هذا النص إشارة الى ما كانت عليه حال الورق في الشام ، في أوائل المائة التاسعة للهجرة ؛ والى انّ مدينة « حماة » كانت أيضاً من جملة المدن التي اشتهرت بورقها .

١٠ — صناعة الورق في الديار المصريّة

ولم يبقَ صنع الورق مقصوراً على العراق والشام ، بل تعداهما الى ديار النيل ، فانتشرت فيها معامل الورق التي أجادت صنعه ووفّرت كمياته .

ذكر المقريزي في كلامه على خطة بني رية بن عمرو ، بالفسطاط ، انّ « هذا الموضع اليوم [(٢)] ورّاقات ، يُعمل فيها الورق » [(٣)] .

وذكر في موطن آخر عن صنع الورق المنصوري بمصر ، بقوله : « والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري ، مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة » [(٤)] .

وأشار الى « خط خان الوراقة » [(٥)] . وفي هذه التسمية دليل على كون بعض الصناع يعملون الورق في ذلك الخان .

ولم يفت القلقشندي أن يصف الورق المصري . قال بعد ان ذكر الورق العراقي والورق الشامي : « ودونها في الرتبة : الورق المصري ؛ وهو أيضاً على قطعين : القطع المنصوري ، وقطع العادة ، والمنصوري أكبر قطعاً . وقلما يُصقل

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .

(٢) توفي المقريزي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) فكلامه يدلّ على ما كان في النصف الأول من المائة التاسعة للهجرة .

(٣) خطط المقريزي (= المواعظ والاعتبار) (٢ : ٧٧ مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

(٤) خطط المقريزي (٢ : ١٨٩) .

(٥) خطط المقريزي (٣ : ٣٧) .

وجهاه جميعاً . أما العادة فان فيه ما يُصقل وجهاه ، ويسمى في عُرف الورّاقين المصلوح . وغيره عندهم على رتبتين : عالٍ ووسط . وفيه صنفٌ يُعرف بالفوّي صغير القطع ، خشن غليظ خفيف الغرف ، لا يُنتفع به في الكتابة ، يُتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك [1] » .

١١ — صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس

انتقلت صناعة الورق من ديار الشرق ، من العراق والشام ومصر ، الى ديار الغرب . فصار يُصنع في جزيرة صقلية ومراكش والأندلس . ومن هذه البلدان انتقل الى ديار الافرنج الأخرى ، على ما هو معروف في تاريخ صناعة الورق عند الأوربيين .

لقد أنشأ العرب في جزيرة صقلية « مصانع لصنع الورق ، ومنها انتشرت صناعة الورق في ايطالية » [2] .

وكانت أشهر مدن الأندلس التي عُرفت بإجادة ابنائها صنع الورق « شاطبة » ، وهي مدينة كبيرة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة . وقد أطنب البلدانيون في مديح كاغدها . قال الشريف الادريسي : « ويُعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير » [3] . وقال ياقوت الحموي : « ويُعمل الكاغد الجيد فيها ، ويُحمل منها الى سائر بلاد الاندلس » [4] .

وقد نوّه المقّري (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ — ١٦٣١ م) بالورق المنصوري في بلاد الأندلس [5] . وهذا الضرب من الورق ، مرّ بنا ذكره في كلامنا على « أنواع الورق » من بحثنا هذا .

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦ — ٤٧٧) .
(٢) الاسلام والحضارة العربية (١ : ٢٦٣) .
(٣) مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ص ١٦٨ ، طبع رومية ، سنة ١٥٩٢م).
(٤) معجم البلدان (٣ : ٢٣٥ طبعة وستنفلد) ، وانظر : خريدة العجائب (ص ٢٨)
(٥) نفح الطيب للمقّري (١ : ٦٩٤ طبعة دوزي) .

أما ورق بلاد الغرب، فقد ذمه القلقشندي . قال بعد وصفه ورق العراق والشام ومصر : « ودون ذلك ، ورق أهل الغرب والفرنجة . فهو رديء جداً ، سريع البلي ، قليل المكث . ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى ، طلباً لطول البقاء »[1] .

١٢ — صناعة الورق في بلاد فارس

لم تلقَ صناعة الورق ، في هذه البلاد ، العناية اللائقة بها في صدر الاسلام . وكان منتظراً ان تنتقل صناعته من سمرقند الى هذه الديار ، قبل انتقالها الى بغداد . غير ان الأنباء التاريخية لا تروي شيئاً عن اهتمام الفرس بصنعه إلاّ في عصور متأخرة ، أعني بعد انتشاره في العراق والشام وغيرهما .

ومن أشهر بلاد فارس التي عُرفت بجودة ورقها ، بلدة « خُونج » التي تسمى أيضاً « خونا » . يقول فيها ياقوت انها تسمى الآن (في أوائل المائة السابعة للهجرة) « كاغد كنان » أي صنّاع الكاغد[2] . وهذه البلدة على مسيرة يومين من زنجان .

١٣ — مقادير قَطْع الورق

كثيراً ما يعثر المطالع في التصانيف العربية القديمة ، على الفاظ تتصل بالورق من حيث حجمه . فان قطوع الورق عند الأقدمين ، تختلف باختلاف الغرض الذي يُتخذ له . وباختلاف البلدان التي تصنعه . قال القلقشندي في هذا الصدد ما هذا بعضه : « قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة[3] : ان الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٧) .

(٢) معجم البلدان (٢ : ٥٠٠ طبعة وستنفلد) .

(٣) هذا الكتاب ضائع . وفي النصّ الذي نقله عنه القلقشندي دليل على نفاسته وجلالة قدره . فكم فقدنا من هذه الأسفار المثمّنة ؟

وذاك انه يُكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار . والى الأمراء من نصف طومار . والى العمال والكتاب من ثلثٍ . والى التجار وأشباههم من رُبعٍ . والى الحساب والمساح من سُدُس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم ، وهي : الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة . والظاهر انه أراد القطع البغدادي ، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي . لا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة . فلا يحسن أن يُقدّر بغير ورقها ، مع اشتماله على كمال المحاسن »[١] .

وقد أوضح القلقشندي عن مقادير الورق المستعمل في زمانه (المائة التاسعة للهجرة) ، فتكلم[٢] على ما كان مستعملاً منها بديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي تسعة مقادير :

١ — قطع البغدادي الكامل : عرضُ دَرْجه عرضُ البغدادي بكماله : وهو ذراعٌ واحد بذراع القماش المصري ؛ وطول كلّ وصل من الدّرج المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور .

٢ — قطع البغدادي الناقص : عرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة .

٣ — قطع الثلثين من الورق المصري : المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري . وعرض دَرْجه ثلثا ذراع .

٤ — قطع النصف : المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري ، وعرض درجه نصف ذراع .

٥ — قطع الثلث : والمراد به ثلث قطع المنصوري . وعرض درجه ثلث ذراع .

٦ — القطع المعروف بالمنصوري : عَرضه تقدير ربع ذراع .

٧ — القطع الصغير : ويُقال فيه قطع العادة . وعرض درجه تقدير سدس ذراع .

---

(١) صبح الأعشى (٦ : ١٨٩) .

(٢) صبح الأعشى (٦ : ١٩٠ — ١٩٣) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ٤١٣ - ٤١٥) .

٨ — قطع الشاميّ الكامل : عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله ٠

٩ — القطع الصغير : وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقةً من الورق المعروف بورق الطير ٠ وهو صنفٌ من الورق الشامي رقيق للغاية ، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام ٠

أما مقادير الورق المستعملة في ايام القلقشندي بدواوين الانشاء في بلاد الشام ، فلا تخرج عن اربعة مقادير ، وكلها من الورق الشامي :

١ — قطع الشاميّ الكامل : وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله ٠

٢ — قطع نصف الحموي : عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي وطوله بطول الطومار ٠

٣ — قطع العادة من الشامي : وعرض درجه سدس ذراع في طول الطومار أو دونه ٠

٤ — قطع ورق الطير المقدّم ذكره ٠

١٤ — المؤلفات القديمة في صناعة الورق

قليلة هي المؤلفات العربية القديمة التي تصف كيفية صنع الورق ، وممَّ يصنع ؟ ولعلّ هذه القلة ناشئة عن فقدان كثير من الكتب ، وبينها ما يتناول هذا الموضوع ٠ أو لعلّ مردّ تلك القلة الى عدم احتفال القوم بتدوين هذه الأمور ، كشأنهم في الإقلال من التأليف في أحوال كثيرٍ من الصناعات الأُخرى ٠

والى هذه القلة ، امكننا بطول البحث أن نقف على بعض ما دُوّن في موضوع صنع الورق ٠

ففي خزانتنا ، مخطوط حديث الخط ، في ٥٣ ورقة ، عنوانه « كتاب فضل القلم والخط وأعمال المداد » ٠ ولا نعلم من أمر مؤلفه شيئاً ٠ وقد كسره على عدة أبواب ، عنوان الحادي عشر منها ، وهو آخر ابواب الكتاب : « في عمل

الكاغد وصقله وترتيب الأقلام» . وكلامه على صنع الكاغد ملأ أربع صفحات من هذا الباب .

وفي دار الكتب المصرية ، رسالة مخطوطة عنوانها «صناعة الورق والليق والحبر» [١] ، تأليف محمود خليفة ابن سليمان بن عبد الرحمن بن مصطفى افندي ، وهي في أربع ورقات ، كتبت سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ م) .

وفي الخزانة الآصفية بالهند ، مخطوطة برقم ٢٢١ ، وهي نسخة فريدة من كتاب «المخترَع في فنونٍ من الصُنَع» [٢] ، كتبها محمد بن قوام بن صفي بن محمد ضياء ترك ناكوري ، المعروف بقاضي خان ، في سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) . أما المؤلف فغير معروف . ويقوم هذا الكتاب من خمسة عشر باباً ، خامسها «في عمل الكاغد البلدي على اختلاف اصنافه ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق» .

١٥ ــ آداب صناعة الورق

ولقد أطلنا البحث والتنقير في ما انتهى الينا من كتب «الحِسْبة» أملاً في الوقوف على ما ينير السبيل في موضوع صُنع الورق وما يترتب على صناعه ، فلم نظفر بطائل . فالذين بحثوا في شؤون الحسبة لم يتطرقوا قط الى هذا الموضوع .

وقد يكون المصدرُ الوحيد الذي أفادنا كثيراً في هذا الباب ، كتاب «المدخل» لابن الحاج ، المتوفى في القاهرة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) . فقد عقد فصلاً في نية الوراق وكيفيتها وتحسينها [٣]» لا نرى بأساً من أن نقتطف منه ما يفيد بحثنا . قال وينبغي للورّاق صانع الورق : «أن يحذر من الغش فيما هو يحاوله . مثاله : أن يُعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على

(١) فهرست دار الكتب المصرية (٥ : ١٥١ ، الرقم ٣٩ صناعات) .

(٢) وصف الاستاذ عبد القدوس الهاشمي هذا الكتاب وصفاً مفيداً في كتاب «المباحث العلمية من المقالات السَّنية» (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٨) .

(٣) المدخل لابن الحاج (٤ : ٧٩ : ٨٣ ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٢٩) .

انه من الدست الذي يساوي أربعة ، لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته . فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال ، ويكون مما عُمل في الصيف ؛ وآخر عكسه ، أعنى فيه سُمرة ونقص في الصقال او البياضة وعُمل في الشتاء . وما بين ذلك . وإذا كان كذلك ، فيتعين عليه أن يبين حتى يخرج ببيانه من الغش . فان لم يفعل دخل بكتمانه تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : «من غشنا فليس منا »[1] .

ثم قال :

« وليحذر ، عند شرائه الورق من الوراقة[2] ، ان يكون في وقتٍ يعلم انه يكشف فيه علي عورات من يعمل فيها من الصناع ، إذ أنَّ اكثرهم يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء ، والفخذ عن آخره مكشوف . فان دخل والحالة هذه فهي معصية ... فيحتاج لهذا المعنى ان يتحرّى وقتاً يكونون فيه سالمين مما ذُكر »[3] .

ثم انتهى المؤلف الى القول : « وليحذر (بائع الورق) من أن يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ ، لأنّ ذلك تدليس على المشتري . لأنّ الخفيف لا يحمل الكشط لخفته ، بل يكون ذلك عنده بمعزل . فاذا علم انَّ المشتري ممن ينسخ فيه ، أعطاه مما يوافقه منه . وإن علم انه ممن يكتب فيه الرسائل وما أشبهها مما يجوز ، أعطاه من الورق الخفيف بعد أن يبين له ذلك »[4] .

ولم يفتهُ أن يوصي الورّاق الذي في الوراقة « أن لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب ، إلا بعد أن يعرف ما فيه . لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة

(١) المدخل (٤ : ٨١) .

(٢) المراد بالوراقة هنا ، معمل الورق . وقد مرّت هذه اللفظة في تضاعيف بحثنا .

(٣) المدخل (٤ : ٨١) .

(٤) المدخل (٤ : ٨١ – ٨٢) .

شرعية ، بل هو الغالب ... فيجتنب ذلك كله لحرمته وتعظيمه في الشرع الشريف ، لأنّ الصناع يدوسون ذلك بأرجلهم وغيرها ، وهذا من أعظم ما يكون من الامتهان »[1] .

١٦ — ختام البحث

لا نتعدى وجه الصواب إذا ما قلنا ، انّ للعرب اليد الطولى والفضل الأعظم في صناعة الورق . فهم الذي عُنوا بنقله ، منذ عهدٍ بعيد ، أعني منذ المائة الثانية للهجرة ، من بلاد الصين الى ديار العراق ، فالشام ، فمصر ، فالمغرب والأندلس . وأدخلوا عليه من فنون التحسين والتجويد ، ما تشهد به عشرات ألوف الأسفار العربية المخطوطة ، المنبثة اليوم في كثير من خزائن كتب العامة والخاصة في بلدان الشرق والغرب .

لقد ازدهرت معامل الورق في كثير من بلاد الاسلام منذ المائة الثانية للهجرة . فأنتجت أصنافاً عديدة تختلف في قطعها وصقلها ولينها وغير ذلك من الصفات . ثم تسربت هذه الصناعة من بلدان الاسلام الى كثير من ديار الغرب ، فتفنن أهلها في صنعه ، وأدخلوا عليه — بفضل الآلة — من التحسينات الكثيرة ما نافسوا بهـا صناعة الورق الشرقي ، فزاحموه حتى كسدت سوقه ، وذهبت تلك المعامل في ذمة التاريخ .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) المدخل (ص ٨٢) .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

المقدمة

عزمت جمعية « الآداب الرفيعة » في باريز على نشر نصوص من الأدب العربي برعاية محل « غليوم بوده » فقد رأت هذه الجمعية وهي تصنع تأريخ الحضارة مستندةً الى نصوص منقولة للغة الفرنسية ان تجعل مقاماً كبيراً في هذا التأريخ لفكر العرب وأدبهم ·

وأول أثر ظهر على يدها ترجمة مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فقد ترجم هذه المقدمة المستشرق « غودفروا دومومبين » عضو المعهد الفرنسي وعلّق عليها ·

والذي يطالع هذه التعليقات باللغة الفرنسية يجد فيها اموراً توضّح من أدبنا بعض ما خفي منه أو بعض ما لا يزال مبعثراً في تضاعيف الكتب ، مما يحتاج الى مجهودات كثيرة ، كالكلام على هذا النزاع الذي قام بين أنصار المحدثين والقدماء في الشعر على زمن ابن قتيبة ، أو بين رجال المعتزلة وأهل السنة ·

وقد صدّرت الترجمة بمقدمةٍ يرى فيها القارئ مباحث لا بأس بها عن شعر العرب وعن طبقات الشعراء وعن عبقرية الشعر وغير ذلك ، قد تكون مقتبسة عن ادبنا نفسه ولكن اسلوب الخوض فيها والتعليق عليها شيء طريف ربما لم نتعوده في أدبنا القديم · ويهتدي القارئ في خلال هذه المقدمة والتعليقات الى آراء ناضجة مثل رأي الأستاذ « ماسينيون » في الشعر العربي فانه يقول ان هذا الشعر اذا نظر فيه ناظر ولم يتعمق في أغواره ظن انه وحيد الأشكال والصور غير متنوعها ، ولكنه اذا تغلغل الى تفاصيله وأعماقه انكشفت له فيه اختراعات دقيقة خصبة ·

كنت أطالع هذه المقدمة في كلية الآداب فلفت ذهني الدكتور حكمة هاشم أستاذ الفلسفة والاجتماع في كليتنا الى الأمر الآتي :

يقول ابن قتيبة في كلام له على شعر بعض الشعراء : وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الا قوله ... وقد ترجم الأستاذ « غودفروا دومبين » كلمة : منحول ، بكلمه نحيل ، وهي ترجمة فيها خطأ فقال لي الدكتور حكمة هاشم : انظر الى مقدار اعتناء رجال الغرب بالتسلسل المنطقي في الفكر ، فان الذي حمل المترجم على أن يخطئ في ترجمة كلمة المنحول انما هو ابن قتيبة نفسه ، لأن ابن قتيبة بعد ان قال : وهذا الشعر منحول ، عطف على قوله بعبارة لا تتصل بما قبلها من حيث المنطق الفكري فقال : ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الا قوله ... مع ان المنطق كان يقضي بان يقول : ولا أعلم فيه شيئاً صحيحاً الا قوله ... حتى يتم التناسب بين الجملة الأولى وبين الجملة الثانية ، من حيث الاطراد المنطقي ، فالأستاذ المستشرق ظن ان معنى منحول في هذا المقام هزيل بدليل ان العطف جاء بعبارة تسرد شعراً غير هزيل ... وقد رأيت ان قول الدكتور حكمة هاشم في محله لأن المترجم قد مرّت عليه كلمة المنحول في مقام آخر من مقدمة ابن قتيبة فترجمها ترجمة صحيحة ، مما يدل على انه يفهم معناها .

شفيق جبري

ديوان ابي فراس الحمداني (الجزء الأول)

سامي الدهان : دكتور دولة في الآداب

ذكر الأستاذ « بلاشير » في مقدمة هذا الديوان ان أكثر الشعراء الذين أعجب العرب بشعرهم على مرّ السنين لا يزالون مجهولين : مثل بشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وابن الحجاج وابي فراس وغيرهم ورأى أن جهل الناس شعرهم ناشئ عن ان هذا الشعر اما ان يكون قد نشر في ديوان غير كامل اواما ان يكون قد نشر في ديوان غير كاف .

وقد أثنى الأستاذ على الدكتور سامي الدهان الذي بذل المجهودات الكبيرة في دور كتب اوروبة ومصر والشام وافريقية في التنقيب عن المخطوطات المشتملة على شعر ابي فراس .

كان أبو فراس من بيت رفيع ، فلم يُعن بشعره أو بجمعه فأدّى هذا الاهمال الى تعدد نسخ دواوينه والى اختلاف هذه النسخ ، والاختيار في مثل هذه الحال صعب جداً ولكن الأستاذ « بلاشير » يرى ان الدكتور سامي الدهان قد اهتدى الى أصح النسخ التي يمكن ان تكون محوراً لنسخته المنشورة .

وبعد أن أشار الأستاذ « بلاشير » هذه الاشارات وعرف للدكتور سامي الدهان فضله وقدره ومجهوده أشار الى أغراض شعر ابي فراس فذكر أن الروميات اذا نقلت الى لغة اجنبية فانها تحتفظ برونقها وجوهرها ، وقد قابل مقابلة يسيرة بين المتنبي وبين أبي فراس ، بين قريحتين مختلفتين ، متحاسدتين ، قريحة بنت الفن والفكر والبحث وقريحة بنت الطبع والحس .

تشتمل نسخة الدكتور سامي الدهان على فهارس ديوان ابي فراس وتشير الى الدراسات التي نشرت عنه في القديم والحديث والى صور بعض المخطوطات وكل هذا يدل دلالة واضحة على مقدار عناء الدكتور سامي الدهان في عمله الجليل فقد أهدى الى المكتبة العربية نسخة من ديوان ابي فراس سيقدرونها حق قدرها .

ش . ج

هل العربية منطقية

أبحاث ثنائية الألسنية

تأليف الأب مرمرجي الدومنكي . طُبع في مطبعة المرسلين في جونيه لبنان . سنة ١٩٤٧ م عدد صفحاته ١٦٠ صفحة متوسطة القطع

في تسمية هذا الكتاب شيء من غموض ، يريد مؤلفه ان اللغة العربية في معاجمها لم تنسق كلماتها تنسيقاً منطقياً (فلا دقة في التحديد ، ولا وضوح في

الشروح ، ولا تناسق في الألفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تتابع في التطورات) . ويريد (بالثنائية) أن كلمات اللغة العربية إذا أرجعت الى أصولها كانت أصولها حرفين اثنين لا ثلاثة كما هو مذهب علماء اللغة العربية كافة . ويريد بالألسنية النسبة الى الألسن . وقد عنى بهذه الألسن الألسن السامية أي اللغات السامية : فان المتأمل في هذه الألسن يجد الأدلة متوفرة على صحة دعواه (أي دعوى المؤلف) من أن أصول كلمات اللغة هي الألفاظ ذوات الحرفين لا ذوات الأحرف الثلاثة ، حتى ان ذوات الثلاثة نفسها ينبغي أن تُرد الى اصول ثنائية الأحرف .

وكان المؤلف بسط رأيه هذا في مقالٍ نشره في المجلد ١٤ من مجلة مجمعنا العلمي العربي ، ثم زاد الموضوع بسطاً وشرحاً في كتاب خاص : (سماه المعجمية العربية على ضوء الثُنائية والألسنية السامية) بلغ زهاء ٢٣٠ صفحة وطبعه في مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنه ١٩٣٧ م . ولكن في كتابه هذا لم يتسنَّ له الاكثار من الأمثلة والشواهد على رأيه في ثنائية أصول كلمات اللغة العربية ولذا أعاد الكرَّة على هذه الأمثلة فاستكثر منها هنا أي في كتابه الثاني الذي نقرظه وهو (هل العربية منطقية) .

وكنا لحين صدور كتابه الأول كتبنا اليه مُعجبين مُثنين على طول باعه في اللغات السامية ، واستبطان أسرارها . غير أنا اعتذرنا اليه عن الاقتناع بصحة رأيه في فكرة (الثنائية) وانما نحن نقلده فيها تقليداً ، حتى اذا تصفحنا كتابه الثاني الذي بسط فيه الأمثلة والشواهد رأينا فيها ما حملنا على كتابة ما يلي ، وحكمنا بأن في رأي صديقنا المؤلف إحالةً وتحكّماً وشيئاً من إبهام ، واللغة العربية الى غير هذا الرأي من الخدمات المتواضعة أحوج . وإلى نوعٍ آخر من الغذاء الاصلاحي أنجع وأنضج . والا فكيف نؤمن بأن مادة (س و د) التي ترجع مدلولاتها الى معني (السيادة) و (السوَاد) في اللغة العربية — ليست

أحرفها الثلاثة أصولاً وانما أصولها حرفان فقط ، أعني الـ (س) و الـ (د) المهملي المعنى في حال تركيبها . ثم لما جاء المؤلف الى الاستدلال على رأيه الثنائي لم يأتنا بسين ودال فقط ، بل إنما كانت حجته في ثلاثة أحرف (س) و(د) و (د) وهي اللواتي يتركب منها فعل (سدّ) الثلاثي المضاعف الذي أصله (سدَدَ) فشدّد : بدليل انه (اي المؤلف) فسره بمعناه اللغوي وهو : ردم . أغلق . سدّ القارورة الخ . وكل هذه معانٍ لسدّ الثلاثي المركب من ثلاثة أحرف سينٍ ودالين لا من حرفين فقط سين ودال واحدة : اذ لا يوجد في اللغة العربية كلمة مركبة من سين ودال واحدة (أي غير مشددة) ويكون لها معنى في اللغة العربية . ويظهر أن الحال كذلك في اللغات السامية الأخرى : فان كل الكلمات السامية التي سَرَدَها المؤلف سواء أكانت سريانية أم عبرانية هي مركبة من سين ودال وبينهما حرف صوتي ثالث لا اعرف كيف انطق به : ففي السريانية كلمة (sawwèd) اذا نطقت بها يبعد ان تنطقها (سَد) اي بسين مفتوحة ودال ساكنة ، وانما تنطقها سيناً ودالاً بينهما حرف علة صوتي ممال الى الواو أو الياء وهو الذي عُبر عنه بحرف (ww) فيكون ذلك اللفظ السرياني ثلاثياً كلفظ (سود) العربي لا ثنائياً .

ويوشك ان يقوم زميل آخر فيرى رأياً جديداً في أصول كلمات اللغة العربية غير الرأي الثنائي الذي تبنّاه المؤلف ويسمي رأيه (الرأي الأُحادي) فيزعم ان اصل كلمة (سود) العربية مثلاً هو (السين) وحدها ، او (الواو) وحدها ، او (الدال) وحدها ، ويؤيد قوله بأن الانسان الابتدائي او الانسان الأول إنما كان ينطق بصوتٍ ساذج تمكن الدلالة عليه والتعبير عنه بحرف واحد صوتي يُمدُّ مَدّاً إذا لُفظ ، ثم تطور هذا الحرف الواحد الساذج وتكيَّف وتولدت منه سائر الكلمات في مختلف اللغات .

واحسب ان غيري من خَدَمة اللغة العربية يرون رأيي في أن الصواب هو ما قاله علماؤنا المحققون من ان اصول الكلمات (اسماء وافعالاً) لا تكون اقلّ من ثلاثة احرف يتألف منها لفظ له معنى في اللغة العربية ومنه تشتق سائر مشتقاته ·

أما ان يشتق لفظ عربي من لفظ ثنائي مهمل لا معنى له في العربية — او يشتق لفظ عربي من لفظ سرياني ثنائي او ثلاثي فهذا لا قائل به ، وانما صرحوا بخلافه: ففي المزهر (قال بعض العلماء: ومحال أن يشتق العجمي من العربي او العربي من العجمي: لأن الاشتقاق نتاج وتوليد · ومحال أن تُنتَج النوق الا حورانا [1] ، وتلد المرأة الا انسانا) · وقال ابو بكر بن السري (ومن اشتقّ الأعجمي المعرّب من العربي (كيعقوب من عقب مثلاً) كان كمن ادعى ان الطير من الحوت)

ولا يخفى ان ما قلناه إنما يصدق على اللغات بعد استقلالها وقيامها بنفسها على ألسن أهلها المتحضرين · أما هي في دور نشوئها وطور تكونها وبداءة المتكلمين بها فلا جرم ان تكون في أصلها واحدة ساذجة ثم — بطريقة يصعب تعيينها واكتناهها — تأخذ في التطور والتشعّب الى شعب وفروع طبقاً للناموس الطبيعي أو التكوين العام · على اننا مهما خالفنا زميلنا الأب الفاضل في رأيه البكر المتعلق بأصل (الثنائية) فنحن موافقون له على رأيه الآخر من انه يجب تنسيق كلمات اللغة في معاجمها بحسب تطورها في الاشتقاق بحيث يسهل ردّها الى اصولها العربية ، ولا بأس في ردها او رد بعضها الى اصولها السامية أيضاً ، كما فعل المؤلف في كتابه ، وكما يفعل المجمع اللغوي المصري في معجمه الكبير الذي يضعه اليوم: فهو يذكر المادة العربية ويذكر بجانبها ما يمناها من موادّ اللغات السامية المختلفة · وهذا يكفي في خدمة اللغة ، وتحقيق اصول كلماتها ، وتوسيع دائرة ابحاثها ، على ضوء الألسنية (ولا نقول على ضوء الثنائية) ·

---

(١) حوران جمع حُوَار ، وهو ولد الناقة الرضيع الى أن يفطم ويفصل فيكون فصيلاً

ومهما يكن فإن دعوى (الألسنية الثنائية السامية) ما زالت في بدء تكوّنها وما زال الباحثون فيها -- لها او عليها -- قليلين . حتى اننا لا نعلم منهم سوى صديقنا الأب مرمرجي . فلعل علماء اللغات السامية [1] ينبرون الى هذا البحث الجديد، فيتبارون فيه ، وينيرون السبيل الى غوامضه وخوافيه .

المغربي

محاضرات مختارات

في الدين والفلسفة والاجتماع

مؤلفه أيضاً الأب مرمرجي وقد طبع في جونيه في ٢٥٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعه محاضرات وخطب للأب المحترم مؤلف الكتاب السابق : « تتناول مواضيعها أبحاثاً شتى في الدينيات والفلسفيات والاجتماعيات . وقد أنشئت بطريقة عصرية يعتمد فيها على البراهين المنطقية » : فمنها محاضرة في (نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية) ، واخرى في (نفوذه في حياتنا الاجتماعيه) ، وثالثة في (نفوذه في حياتنا الأدبية) . ثم محاضرات في (الأخلاق) و (الأسرة) و (الألفة الاجتماعية) و (الملكية الفردية) و (أبطال البشرية) . فموضوعات الكتاب تتردّد بين الآداب المسيحية، والآداب الاجتماعية . ومن ثمّ كانت فائدته عظيمة للشبان والشابات لما فيه من تهذيب النفوس ، وتطهير الأرواح ، ولا غرو فالمؤلف عُرف بالتقوى والاخلاص في دينه وعقيدته فحبذا المخلصون أمثاله .

المغربي

---

(١) (المجمع) تتمنى أن يكون الأب مرمرجي أهدى نسخة من كتابيه (المعجمية العربية) و (هل العربية منطقية) الى غبطة (مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم) بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس صاحب مقالات (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) التي تنشر تباعاً في مجلة مجمعنا – حتى نرى رأيه في (الثنائية على ضوء الألسنية) فانه ابن بجدتها وفارس حلبتها .

الرسالة العلمية في الشفعة

تأليف الأستاذ خليل جريج رئيس محكمة في بيروت

٢٦٠ صفحة مطبعة جان دارك بيروت سنة ١٩٤٧

هذا الكتاب المفيد مؤلف من اربعة عشر فصلاً وملحق ، وكل فصل منها مشتمل على كثير من المسائل والأحكام ، وهي مباحث فقهية ، نظرية وعملية ، قد تضمنت التعريف بالشفعة وحكمتها وضرورتها ومصدرها الشرعي ، وحكمها القانوني ، ولمحة تاريخية عنها ، وأصحاب الحق فيها ، ومراتبها ، والعقود التي تجري فيها ، وما يترتب على الشفيع لطلبها ، وما يشترط لها من الأهلية الواجبة ، والأصول المفروضة ، والاختصاص القضائي في دعاوي الشفعة ، ونتائج الشفعة بالنسبة للطرفين وللغير ، وقاعدة عدم تجزئة حق الشفعة ، وانتقال هذا الحق ، وسقوطه ، وطبيعته ، وقيمته ، وتعديل أحكامه ، ثم ذيل كتابه بملحق حوى نصوص أحكام الشفعة في المجلة العدلية ، وفي القوانين المدنية الفرنسية ، الموضوعة للحكومات العربية في شمالي افريقيا وفي سورية ولبنان .

وطريقة المؤلف في كتابه هذا أنه يورد في كل فصل من فصوله (أولاً) ما قاله فقهاء المسلمين ، ومعظم ما ينقله عن كتب المذهب الحنفي المعتبرة ، وهو ما يسميه بالقانون القديم ، (وخير من ذلك أن يقال الكتب الفقهية او الشرعية) .

(ثانياً) قانون الملكية السوري اللبناني اي القرار (٣٣٣٩) الصادر في عهد الانتداب الفرنسي . (ثالثاً) القانون المصري (الرابع) قوانين افريقيا الشمالية (تونس والجزائر ومراكش) . وختمت هذه المباحث بالملحق المشتمل على نصوص احكام الشفعة في مجلة الأحكام العدلية ، وفي القوانين المدنية الموضوعة لهذه البلدان العربية من قبل الفرنسيين كما قدمنا .

أما مواضع النظر فيه فنذكر منها ما يأتي :

ص ١٩٤ وقد نهى الله عنها بقوله : « لا تحل الخديعة لمسلم » وهذه الجملة

ليست من كلام الله في القرآن، ولو تناول المؤلف بيمينه مثل كتاب «فتح الرحمن» او «المرشد الى آيات القرآن» لما وجدها ، وهو يعزو في جميع ما ينقله الى الكتب وصفحاتها ، ليؤدي أمانة العلم ، وما ندري كيف غفل عن أقدسها وأولاها بالاهتمام وهو القرآن ؟

ص ٥ : في حديث عمرو بن الشَّريد الذي نقله عن البخاري : فقال سعد : والله لا أزيد على اربعة آلاف مجمعة او مقطعة .

والرواية في البخاري : منجمة (بالنون) او مقطعة « شك من الراوي ، والمراد أنها مؤجلة على أقساط معلومة .

ص ٢٠٠ فضلاً عن أن بعض الأحاديث الشريفة تؤيد رأينا كقول الحكيم .. وقول الشعبي : صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ » .

الحديث الشريف هو ما أضيف الى النبي ﷺ قولاً او فعلاً او تقريراً او صفة ، كما هو معلوم عند علمائه ، وهذان الخبران ، لم يسندا اليه (ﷺ) فما هما بحديثين .

ثم انا لم نفقه السر في ترجمة المؤلف لأقوال (مختصر سيدي خليل) الشهير في الفقه المالكي ، عن الفرنسية للدكتور برون Perron في سنة ١٨٥٤ وترجمة سينيات Seignette في سنة ١٨٧٨ عند ايراد الشواهد من المختصر على علم المؤلف بطبعته العربية ، واطلاعه على حاشية الخرشي ونقله عنها ، كما فعل في ص ١٢٩ وهو مطبوع طبعات أخرى مع الشروح ، وشهرة «المختصر» بالعربية عند أهله تفوق شهرته بالفرنسية بكثير .

هذا وإنا نوجه نظر القاضي الفاضل الى الفرق بين الشريعة الاسلامية التي هي القرآن ، والحديث ، وبين كتب الفقه المسماة عنده بالقانون القديم ، فإن مؤلفي هذه الكتب ليسوا مؤيدين بالعصمة ، وإنما يؤخذ من أقوالهم ما وافق الدليل ، وكان أكثر انطباقاً على عرف الزمن ، وحاجة أهله ، وكل ما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، ولكل زمن عرف ومصالح .

على أن ما جاء في هذه الرسالة العلمية من المقارنة في الشفعة بين القديم والحديث ، دلّ على فضل الأول على الثاني ، ومن شواهده ما أورده المؤلف في تعريف الشفعة من كتاب (مرشد الحيران) مادة (٩٥) انها « حق تملك العقار المبيع كله او بعضه ولو جبراً على المشتري بما قام عليه من الثمن والمؤن » وفي مجمع الأنهر : أنها ضم بقعة مشتراة إلى ملك الشفيع بسبب الشركة او الجوار »

وفي مشروع موران Morand أي مشروع القانون الاسلامي الجزائري ، (م ٥٠٧) إن حق الشفعة هو الحق المعترف به لكل شريك في العقار عند ما يتفرغ شريك آخر عن حصته بعقد رضائي ، لأخذ هذه الحصة ، مقابل دفعه بدل الشراء » فأنت ترى أن تعريف مجمع الأنهر ومرشد الحيران ، أخصر وأجزل من تعريف موران .

وقد ذكر المؤلف الأستاذ ابن جريج في كتابه هذا أمرين عظيمين :

(الأول) لزوم الأخذ بقواعد الشريعة الاسلامية ، على شرط انسجامها مع المبادئ الأساسية في التشريع الحديث ، وقد نصر المؤلف هذا القول لأن احكام الشفعة مأخوذة من الشريعة الاسلامية (ص ٢٨) .

(الثاني) انه ظهر في الجيلين الأخيرين اهتمام العلماء الأجانب بدرس الفقه الاسلامي ، وكان من نتيجة ذلك وضع مؤلفات متعددة في اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية والألمانية ، وترجمة بعض الكتب الشرعية النفيسة الى هذه اللغات ، خصوصاً الى اللغة الفرنسية ، وقد ذكر في ذيل الصفحة (١٣) طائفة منها »

إن في ذلك لعظة بالغة ، وبرهاناً حسياً على أصالة الفقه الاسلامي ، واستقلاله ، فنقدم هذه الشهادة العادلة الى فقهاء عصرنا ليُعنوا بتخريج ما يتجدد من ضروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ومقاصدها ، فان في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاقتصادية والاجتماعية في عهد المدنية الحديثة .

هذا وقد وقع لهذا القاضي الفاضل ، وهمٌ واشتباه في بعض المسائل ، كقوله

ص ٣٩ : فقد كان الجيل الأخير عهداً خصباً في التشريع والتنظيم ، وفي الخروج على طائفة من القواعد الشرعية التي لم تعد تتلاءم مع الحالة الحاضرة »

أقول : لقد سبق علماء الشريعة إلى مثل هذا التصريح ومنهم الشهاب القرافي الذي جاء في قواعده ما نصه :

«ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب غير ملتفت إلى العرف »

وفي المادة ٣٩ من مجلة الأحكام العدلية التي استندوا اليها في أحكام الشفعة وغيرها « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » وفسرها الشراح بالأحكام المستندة على العرف والعادة ، إذ هما عرضة للتغير بتغير الناس والأحوال ، بخلاف الأصول العامة للأحكام التي وضعها الاسلام ، فهي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولا تتبدل بتبدل الشعوب والأقوام ، كالمساواة في الحقوق ، وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ومن قواعده المأخوذة من نصوصه الكثيرة « اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن استنباط الأحكام من مآخذها وأدلتها مبني على درء المفاسد وجلب المصالح » فأية قاعدة من هذه القواعد الثابتة يجوز هدمها أو الخروج عليها ؟

وكقوله في ص ١٤٠ وهذا ما حمل المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على ترك المذهب الشافعي واعتناق المذهب الحنفي حتى تتسنى له الارتقاء إلى مركز الإفتاء » والصواب أنه كان مالكي المذهب من قبل كما ترى في مقدمة تقريره في إصلاح المحاكم الشرعية (المطبوع بمطبعة المنار سنة ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ م) وإنما الذي كان شافعياً هو صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان أحد قضاة المحكمة الشرعية العليا بمصر ، وفي الكتاب أغلاط مطبعية وشبه مطبعية تركناها لطول المقام .

والكتاب جميل التبويب ، كثير العناوين ، جليل النقول ، جيد التحليل والتعليل ، حري مؤلفه الفاضل بالثناء الطيب والشكر الجزيل .

محمد بهجة البيطار

تراجم أعيان دمشق

في نصف القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠١ - ١٣٥٠

« هو ذيل لروض البشر في أعيان دمشق في القرن الرابع عشر »

للأستاذ محمد جميل الشطي

طبع بمطبعة دار اليقظة العربية بدمشق

هذا كتاب سلك فيه مؤلفه الطريقة التي سلكها في كتابه السالف « روض البشر » مع اعتدال قليل في الحكم على الرجال بيد انه ما زال حكمه يغلب فيه على المؤلف حسن الظن ، فيذكر الحسنات وربما جسمها ويغضي عن السيئات جملة وبذلك تصعب معرفة صاحب الترجمة على حقيقته .

وقد وقع له ان ترجم لأناس هم في حكم العامة والأميين لم يؤهلهم للذكر الا انه كانت لهم وظائف ومراتب ما كانوا فيها ايضاً ممن تحمد سيرتهم ، والمؤلف مثلنا يعرفهم ويعرف مقاماتهم وقبيح صفاتهم لكنه رأى السكوت عنها أسلم وأخذ بحنبليته ولا يلام المرء على اجتهاده .

محمد كرد علي

قضية العرب

ألفه الأستاذ علي ناصر الدين

ونشرته : دار العلم للملايين بيروت

هذا الكتاب كتاب ايمان ، ألفه رجل مؤمن بوطنه وقومه ، ايماناً مجرداً عن كل مطمح إلا مصلحة أمته واعلاء شأنها . واهداه (الى روح فيصل الكبير ، الزعيم ، والقائد ، والملك الخالد ، الى ارواح الذين استشهدوا في سبيل قضية العرب في كل مصر منذ ان تفتق ضمير الدهر عن هذه القضية . . . . . الى المؤمنين الذين اشتغلوا ويشتغلون لهذه القضية . . . . .)

يسرد المؤلف في مقدمة كتابه حكاية هذا الكتاب ، كيف ألفه وكيف حال بعض أصدقائه الحاكمين دون طبعه ، وينتهي من هذا الى قوله : (وبعد

فلست اعرف من بين امم الدنيا ، امة نزل بها من الكوارث والمحن ما نزل بهذه الأمة العربية في عهد من الانحطاط طال امده ، ولم تفن ، او تندمج في غيرها من الأمم ، او يشد عليها الشلل على الأقل ، غير هذه الأمة) .

ويجعل المؤلف كتابه حواراً : سؤالاً وجواباً فيتناول : الرسالة القومية ، والعربية والأقطار العربية ، والأمة ووحدة اللغة ، والعادات والتقاليد ، والميول والرغبات . وكلها من مقومات الأمة ومشخصاتها التي توفرت في هذه الشعوب العربية التي تقطن الأقطار العربية .

ثم يعود فيبحث في الأمة العربية وبقية الأمم ، وفي موجات الجزيرة ، والعرب بعد الرسالة ، والاقليمية الهدامة ، والوعي القومي ، وتاريخ العرب والحكومات العربية ، والقومية والدين .

وهو في ابحاثه هذه يثبت عروبة الأقطار العربية ، وعروبة الناطقين بالعربية ، ويؤيد وحدتهم ، ويدفع التهم الباطلة الموجهة اليهم ويدحض الافتراء التاريخي الذي يزعمه الشعوبيون وغيرهم من اعداء العرب .

كل هذا بعبارة بينة ، وحجة دامغة ، ونصوص تاريخية استشهد بها من اقوال العرب وغير العرب .

عارف النكدي

نظام الحكم في العراق

تأليف الدكتور مجيد خدوري

الأستاذ بدار المعلمين العالية

هذا الكتاب وضعه صاحبه رسالة باللغة الانكليزية ثم نقله الى اللغة العربية بمعاونة بعض اصدقائه . في جملة ابحاث هذا الكتاب : تأسيس الدولة العراقية ولمحة عن تاريخ العراق . والحكومة العراقية . وتجربة الانتداب . وتحرير العراق من الانتداب . ووضع الدستور العراقي ومصادر هذا الدستور والمجلس التأسيسي والجهاز الحكومي ... والتنظيمات الادارية والنظام القضائي . والادارة العامة

والوزارات العراقية والسلطة التشريعية والأحزاب السياسية والقوى المؤثرة في سير الحكم .

وكلها من الأبحاث القانونية التي عالجها المؤلف فوفاها حقها وكشف بها عن نواحٍ مهمة من نواحي نظام الحكم في العراق .

والكتاب يحتاج اليه كل عراقي ، بل كل عربي . فنشكر للمؤلف عنايته ولمن عاونه جهودهم .

ع . ن

التشريح الطبي الجراحي لمؤلفه الدكتور مصطفى شوقي

ان مؤلف هذا الكتاب هو شيخ المشرحين في سورية فقد رافق المعهد الطبي منذ نشأته وشغل منصب استاذ التشريح فيه منذ تأسيسه حتى إحالته على التقاعد . وقد رأى معهد الطب حاجة ماسة الى علمه وعلوّ كعبه في الفرع الذي يدرسه فرجا منه ان يظلّ مشرفاً على هذه الشعبة ومثابراً على القاء محاضراته فلبى الطلب وهو لا يزال يشغل حتى اليوم منصب استاذ التشريح في الكلية . والكتاب الذي اتحفنا به المؤلف وطبعه في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في السنة ١٩٤٦ فريد في بابه فلسنا نذكر ان في خزائن الكتب العربية مؤلفاً بهذا الموضوع .

ان كتاباً كالتشريح ولا سيما كالتشريح الطبي الجراحي او ما كان يُسمى التشريح الناحيّ لا يُعدّ كتاباً مفيداً الا اذا زيّن برسوم ملونة تسهّل على المطالع ما يقرأه فيه وقد خلا الكتاب من هذه الرسوم ، لا عن اهمال بل عن تعذّر بلوغ هذه الغاية فان صنع الرواسم (الكليشات) في سورية لم يبلغ من الرقي درجة كافية تمكن الممتهن من صنع رواسم ملونة متقنة ، حتى ان هذه الرواسم ولو صنعت في خارج سورية لما استطيع طبعها باتقان لأن فن الطباعة عندنا لا يزال في مهده ، وترقيتهُ وابلاغُه الى مستوى رفيع لائق بمكانة البلاد امرٌ واجب ، كيف لا والكتب العلمية اجمالاً تفقد كثيراً من قيمتها اذا لم تبرز بحلة جميلة ولم تزدن برسوم ملونة متقنة ، وان التعب الذي يعانيه المؤلف في طبع

مؤلفه يكاد يعادل الجهد الذي يبذله في وضع تأليفه . فلا عجب ، والحالة هذه ، إذا ماخلا هذا الكتاب المفيد من الرسوم الملونة لأن تزيينه بها يكاد يكون أمراً مستحيلاً .

وإذا استثنينا هذا النقص في الطباعة وبعض الأخطاء اللغوية وبعضاً من المصطلحات التي لا نوافق الأستاذ الزميل عليها كان الكتاب مثالاً للكتب العلمية التي يجدر بكل طبيب اقتناؤه لما فيه من الأبحاث المفيدة ولأنه كما قلنا فريد في بابه ولا مثيل له في اللغة العربية . واننا لنؤمل ان تكون الطبعة الثانية منه أكثر اتقاناً ولائقة بما في هذا الكتاب من الفرائد .

اما ابحاث هذا المؤلف فشاملة لأرجاء الجسد كافة : القحف والوجه والعنق والصدر والبطن والأطراف وجهاز الرؤية وقد درست في كل من هذه الأقسام النواحي التي تقع فيه ففي الوجه مثلاً درست النواحي التالية : الشفوية ، والذقنية ، والخدية ، والماضغة ، والجناحية الفكية ، والحنكية ، والبلعوم ، والخلاء حرله ، والتكفية ، وقرب اللوزة ، واللسانية ، وتحت اللسان ، وفوق اللامي .

يتبين من هذا ما يشتمل عليه هذا المؤلف من الأبحاث الواسعة المفيدة . وقد وُصفت في كل ناحية الطبقات التي تتألف منها منذ السطح حتى القحف وما يمرّ فيها من الأعصاب والشرايين والأوردة وعروق اللنفا والعضلات وغير ذلك .

ان هذا الكتاب قد سدّ ثلمة كبيرة في لغة الضاد فالى زميلنا الأستاذ أصدق تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

السير برسي نن : التربية ، حقائقها وأصولها الأولى

عربه الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البسام . ونشرته لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف العراقية . طبع في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٤٦
عدد صفحاته ٣٨٣ من القطع الوسط

مؤلف هذا الكتاب هو استاذ التربية بجامعة لندن ومن كبار العلماء المعاصرين

وأعلاهم كعباً وأبعدهم أثراً ، عرض في كتابه هذا الكثير من المباحث الجليلة كالبحث في هدف التربية ، والحياة الفردية ، وارادة الحياة ، والذاكرة ، وعلاقة الدافعة بالحافظة ، واللعب ، والحرية ، والطبع والتطبع ، والقياس العقلي ، والاحتذاء ، والغريزة ، ونمو الذات ، واداة المعرفة والعمل ، وتطور الفكر ، والمدرسة والفرد .

أما مذهبه في التربية فهو كما قال المعرب الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البسام تأييد للنزعة الطبيعية وتجديد لها . « فهو يرى ان التربية يجب ان ترمي الى اعانة الناشئين على ان يبلغوا أسمى ما تسمح به طبائعهم من مراتب النمو والامتياز الفردي . وهو يدعو الى الحرية الفردية ، ويرى انها ميزة تتصف بها الحياة في جميع درجاتها . وليس في هذا اضعاف لواجبات الفرد الاجتماعية او انتقاص من مطالب المجتمع وحاجاته ، لأن الميل الاجتماعي كما يرى المؤلف انما هو جزء أصيل في النفس الانسانية لا تستطيع الافلات منه » .

وقد أحسن المعرب بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية لأنه من الكتب الأساسية التي نحتاج اليها في توجيه تربيتنا القومية واصلاح طرق التعليم في العالم العربي .

الا ان رغبة المترجم في المحافظة على الأصل قد أوقعته في الغموض والالتباس ، ولو عُني بوضوح عبارته عنايته بالمحافظة على المعنى لسهل على القراء فهم الكتاب دون الرجوع الى أصله الانكليزي .

وفي الكتاب هنات لغوية ، ينبو عنها الطبع ، لو سلم المؤلف من الوقوع فيها لجاء عمله أكمل وأدق .

جميل صليبا

Excavations at Dura - Europos . Final report IV . Part III , the lamps , by P. V. C. Baur .

حفريات دورا – اربوس ، القسم الثالث من التقرير الرابع النهائي : السرج – وضعه السيد باور يقع في (٨٤) صفحة من القطع الكبير و(١٦) لوحاً مصوراً. طبع بنيوهافن عام ١٩٤٧

يحتوي هذا التقرير على دراسة واسعة عن السرج الخزفية والمعدنية اليونانية

والرومانية التي اكتشفتها بعثة جامعة يال الأثرية اثناء حفرياتها في صالحية الفرات (دورا ـ اربوس) . وقد وصف المؤلف هذه السرج وصفاً دقيقاً ورتبها ترتيباً علمياً بحسب أشكالها وعصورها ، وقارنها بامثالها من السرج المكتشفة في حفريات البلاد المجاورة المعاصرة لدورا ـ اربوس ، وعززها بصور واضحة زادت البحث فائدة وسهلت الانتفاع به .

وتعطينا هذه الدراسة برهاناً جديداً على مدى تبادل المصنوعات بين بلاد الشرق الأوسط منذ أقدم العصور فجعلت منها وحدة اقتصادية اضمحلت معها منافساتها الاقليمية ومنازعاتها المذهبية التي كانت تعمل على تفرقة صفوفها والقطيعة بينها .

وقد توفق المؤلف في دراسته وأتحف المشتغلين بعلم الآثار مرجعاً جديداً يستعينون به في أبحاثهم ويسهل عليهم عناء مهمتهم .

جعفر الحسني

مأساة هندسية أو النهر المجهول

للدكتور احمد سوسا في (٨٨) صفحة من القطع الصغير و (٥) مصورات
طبع في بغداد عام ١٩٤٧

استهل المؤلف كتابه بدراسة وافية عن منشأ نهر الجعفري الذي أمر بحفره الخليفة المتوكل في سامراء لايصال الماء الى المتوكلية مدينته الجديدة . وعلل في كتابه العوامل التي أدت الى فشل هذا المشروع . ونحن مع اعجابنا بدراسته الفنية لا نشاطر المؤلف فيما ذهب اليه في اسباب فشل هذا المشروع وتحامله على اصحابه ورميهم بالعجز وعدم الخبرة الفنية ، لأننا لم نجد في كل ما أورده في كتابه ما يبرر استنتاجه هذا ، بل وجدنا شواهد عديدة تدل على عظمة المشروع ومهارة أصحابه .

ان انحدار النهر بين صدره ونهايته لا يمكن الاعتراض عليه فهو يبتدئ بارتفاع (١٠٦) م . وينخفض الى (٨٧٫٥٠) م في نهايته ، ولذلك لا يعقل ان يكون اختلاف مناسيب ارتفاع النهر في قسمه الأوسط خطأ أساسياً في تخطيط النهر بل هو ناشئ عن صعوبة الحفر في بعض المناطق الصلبة وبطء العمل فيها حيث : « كانوا يحفرون حصاً وافهاراً لا تعمل فيها المعاول » وهكذا فاجأتهم الأحداث بقتل المتوكل فحالت دون انجاز المشروع وأدت الى هجره حتى بقي مبتوراً كما عرفناه اليوم .

وأما رواية ابن ابي اصيبعة عن قصة النهر التي نقلها المؤلف واستشهد بها ليدعم نظريته ، فهي قصة ملفقة ينفيها الواقع . فقد جعلت حوادث هذه القصة قبل شهرين من مقتل المتوكل ، أي في أوائل شهر شعبان الموافق لمنتصف شهر تشرين الأول ، اي في الفصل الذي تكون فيه مياه دجلة في أقصى شحها وانخفاضها ، وقبل شهرين من موسم فيضانه على أقل تقدير . فكيف لنا والحالة هذه ان نوفق بين هذه الحقيقة وقول ابن ابي اصيبعة بأنه كان وقت فيضان دجلة والماء يغمر النهر ولا يمكن لمسند (؟) بن علي ان يتحرى حقيقة الاخطاء المرتكبة في حفر النهر الا بعض مضي أربعة أشهر .

كما انه لا يعقل ان يركن من يعتمدهم الخليفة في أمور خطيرة الى اقوال المنجمين في تقرير اعمالهم الرسمية حتى يبلغ بهم حد الاستخفاف بتنفيذ أوامر السلطان .

هذه ملاحظة أوردتها على هامش التاريخ كي لا يغمط حق الذين وضعوا اسس مشروع حفر هذا النهر العظيم وللدفع تهمة العجز عنهم . وكل هذا لا ينتقص من قيمة الكتاب ومافيه من دراسات فنية ممتعة تثير الاعجاب وتدل على سعة الاطلاع والعناية بالتدقيق والتحقيق .

ج . ح

آراء وأنباء

الأستاذ عبد الله مخلص

ولد في المحرم سنة ١٢٩٦ الموافق ٢٧ كانون اول سنة ١٨٧٨ في مدينة «عين تاب» من أعمال حلب موطن آبائه وهو من أسرة جاءت عين تاب من اليمن ، واستوطنت ودرجت مع الزمن وهي تعرف بأسرة شبجي خوجه زاده . وكانت اسرة علم وثقافة وقد تقدم أفرادها ، بكثير من الأعمال والخدمات الاجتماعية بما لهم من المواهب والعلم . ووالده محمد عبد الله كان من ضباط الجيش العثماني جاء بأسرته الى حيفا وكانت سن



ولده عبد الله تقرب من الرابعة ، وانتقل به والده الى جنين ، وبقي بها مدة حتى وافاه الأجل في ١٠ صفر سنة ١٣٤٢ الموافق ٢٢ ايلول سنة ١٩٢٣ .

وقد نشأ نشأة دينية صالحة على تربية علمية تقليدية ، وبدأ دراسته في مدرسة تدعى المكتب الرشدي في حيفا وكانت المدرسة جزءاً من الجامع على طريقتهم في ذلك الحين ، وقد استقى منها أول مؤهلات المعارف وكانت تعتبر مدرسة عالية وقتئذ . وكان حريصاً بالطبع على احراز أوفى ما يمكنه من العلم ، ودرس اللغات الثلاث ، العربية والتركية والفارسية دراسة خاصة ، وأتقن معرفتها ،

وجود أساليبها وفي سنة ١٨٩٩ أنهى المدرسة وعكف على التحصيل بنفسه مندفعاً بمواهبه ، سائراً بقوة من وراء الغيب ، لأن يُعدّ هذا الاعداد العجيب ، ولأن يكون علماً من أعلام العلم والثقافة والفضل ، فعمل على الاجادة والتحصيل ، ولم يدع عالماً أو أديباً أو مؤرخاً الا اتصل به ، وأخذ عنه واستفاد منه ، وأخذ يجمع نفائس الكتب ، وأمهات المصادر ، وانقطع عليها دراسة وتحقيقاً ، وقد استظهر كثيراً منها ، وجمع بين الدراسة التاريخية وبين الأدب والدين . وقد عكف على القرآن مدة يستظهره ويفسره ولم يدع أحداً لديه أثارة من علم الا اجتمع به واستوضح منه وروى عنه . وأما في الحديث فقد أخذ إجازته عن بعض الشناقطة المحدثين . ثم أخذ يخصص نفسه بدراسة التاريخ والآثار الشرقية فجمع لها المصادر ولم يكن كتاب مطبوع في هذه المادة الا استحضره أو استنسخه أو اطلع عليه واشتمله وأفاد منه . من أجل ذلك قد اجتمع لمخلص من النبوغ والتقدم ما لم يجتمع لأولئك الذين كانوا من أعمال الجامعات الكبرى في عصرنا الحديث . فعلم مخلص كان شاملاً في مادة التاريخ التي خصص نفسه بدراستها ، وشاملاً نواحي كثيرة في اللغة وآدابها وفي الأخلاق والأصول وسائر الفروع الدينية ولم تفته نظرية من نظريات العلم الحديث سواء أكانت في الفلسفة أم في الطبيعيات والفلكيات والنشوء والارتقاء ، فكان يملأ مجالسه علماً وينشر في هذه المجالس آراءه ، بعد المقارنة والنظر والمقابلة بين آراء الأقدمين وعلمهم ونواحي تفكيرهم ، وبين علم المحدثين وما وصلوا اليه . وكان المرحوم اسعاف النشاشيبي يقول : الجاحظ اعجوبة البيان ومخلص اعجوبة الزمان ، يعني بالزمان التاريخ . وأما في فضائله فليس لمخلص نظير . كان يمثل السمو في أرقى معانيه وهو على فضيلة من دينه وعلى كمال من دينه وفضله مما جعله نسيج وحده لا يدانيه كثير من ذوي المطامح الى الرجولة الكاملة . وله من مواقف الفضل ما يدل على قلبه الكبير ، ونفسه السامية ، وتفكيره الناضج ، ومن استوضح مخلصاً من خلال آثاره ومؤلفاته ، عرف ان مخلصاً كان أمة جمع في نفسه

ما تفرق من خلال الفضل في كثير من الرجال ، ونحن إذ نذكره بهذا الثناء ، نترك التاريخ يتمم ماعجزنا عنه من إيفاء الرجل حقه ، وعسى أن يمنحنا الله الاخلاص ، لنخرج له كتاباً يعرف مبلغ علمه ومقدار فضله ، ليكون مثلاً لمن أراد ان يكون معيناً في العلم لا ينضب ، ومصدراً لمكارم الأخلاق لا ينفد .

مؤلفاته

قد ترك ثروة من البحوث العلمية ، والتحقيقات التاريخية ، تقدر بقيمة كبيرة في ميزان الثقافة العربية ، وان هذه الثروة هي التي ستجعله خالداً في نفوس العلماء الذين يقدرون الانتاج العقلي ، والمواهب النابغة التي تزيد في قيمة الثقافة الشرقية العربية . فمن مؤلفاته المخطوطة (١) تاريخ المسجد الأقصى ، عرض فيه الأطوار التي مرت بهذا المسجد بطريقة فنية لم تعهد في كتابة التاريخ ، وقد حل جميع الكتابات المرسومة ، على جدران المسجد وصحح كثيراً منها مثل إسناد بناء قبة الصخرة الى المأمون (٢) تاريخ الخليل وقد صفى تاريخ هذا البلد مما عاق به من تضليل الرحالة الاميركان في معالمه (٣) تاريخ صفد استنبط من تاريخ هذا البلد ما لم يستنبطه مؤرخ قبله اذ كان في تاريخ صفد كثير من الغموض وكثير من الاهمال (٤) تاريخ بيت لحم بين فيه معاني القداسة التاريخية التي زادت في قداستها الدينية . (٥) اعلام الاسلام في مواطن الانبياء . (٦) أدوات الحرب عند العرب بين فيه تطور الأسلحة العربية ، وتفنن الدول في اعدادها ، ومبلغ نجاحهم فيه . هذا وله في اللغة ، كتب مخطوطة أيضاً . (١) أدوات الزينة عند نساء العرب ، وهو كتاب جميل في بابه يصور نظر المرأة الى تجميل نفسها من أقدم العصور (٢) ملابس العرب بين فيه الأدوات التي مرت بالملابس العربية وأثرها في تدرجهم في مضمار الحضارة وسرد مالها من صفات ، في لغة العرب وأدبهم (٣) العاطفة عند العرب ، بين فيه فعل العواطف في العربي في مختلف أطواره ، وكيف تتحكم العاطفة فيه ، وتوجه سلوكه ، وتحمله على حفظ الذمار ، ومراعاة العهود ، والدفاع عن الجار

(٤) ابيات العادات ، بين فيه العادات العربية التي دلت عليها أشعارهم ، ونظمها أديبهم ، (٥) الثياب المنسوبة بيَّن فيه مثل «القباطي» من النسيج المنسوب الى بلدان خاصة وما قيل فيها في اللغة والأدب . وحقَّق كتاب الاشارة في من نال الوزارة وترجم عن التركية سيرة السلطان محمد الفاتح تأليف نامق كمال (٦) ما قيل في صفات البئر عند العرب وأسباب الاعتماد على أوصافها في استنباطها . هذا وله مقالات متفرقة في المجلات العلمية الكبرى وكثير من الجرائد ، مثل جريدة الزمان ، واللواء ، والأسبوع ، والترقي ، وغيرها مما يصح أن يكون كتاباً جم الفوائد لو جُمع .

وظائفه

لقد تقلب في وظائف حكومية كثيرة ، وما كان تقديره خفياً في كل وظيفة أسندت إليه ، وقد أحرز رئاسات كثيرة في الأقلام والدوائر التي مرَّ بها من البلديات ، والمصارف ، والادارات العامة ، وكانت له أعمال تجارية خلال سني الوظيفة ، وهذه الأعمال مما جعلته كابن خلدون ، يخبر الحياة عن كثب ، ويعلم أثر الناس في تصريف التاريخ ، وصبغ الزمن بصفتهم ، وكانت آخر وظيفة شغلها ، وظيفة مدير الأوقاف الاسلامية العامة في فلسطين . تولى ادارتها سنة ١٩٣٨ وبقي حتى سنة ١٩٤٤ وله في وظائفه عموماً ، مواقف يضيق المقام عن سردها في مجلة المجمع الغراء . ويكفي أن نعطي فكرة عن تاريخه الجيد في شخصيته العلمية ، ونرجئ كل شيء عنه الى كتاب خاص . من أجل ذلك ، نضرب صفحاً عن ذكر حياته السياسية ، وانها من هذه الناحية ، حافلة بالأحداث الجسام ، مليئة بالمواقف المجيدة ، وان رجلاً فيه إخلاص مخلص ، وقد حضر الدولة العثمانية في عهديها ، عهد القوة ، وعهد الضعف ، وكان على مظهرين ، مظهر العلم والاخلاص للوطن ، ومظهر العقيدة العجيبة ، والايمان المكين ، ان رجلاً هذه مظاهره ، لابد أن يكون ، ذا تاريخ مجيد في الحياة السياسية ، والمغامرات الوطنية ، ولقد صحَّح قول ابن خلدون ، ان العلماء أبعد الناس عن السياسة

قولاً وعملاً . فقد جمع بين العلم والسياسة ، ودل على ان العلماء هم الذين يجيدون حبك النظم السياسية ، وخصوصاً بدافع الاخلاص ، والدفاع عن الحقيقة ، والاحتفاظ بالوطن ، موئل الدين ، وملاذ العروبة ، وقبلة الاسلام ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث من شهر صفر سنة ١٣٦٧ الموافق ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٧

محمد حسن مكي

المجمع العلمي العراقي

صدرت الارادة الملكية بانشاء مجمع علمي يعمل على العناية بسلامة اللغة العربية ، ونبش تاريخ علمائها وادبائها ومخطوطاتها ، وبالعلوم الحديثة وفنونها تأليفاً وترجمةً ، وغير ذلك مما له صلة به من مباريات ثقافية واتصال بالجامعات والمجامع العلمية ، وعقد مؤتمرات وانشاء دار طباعة ومجلة ودار كتب .

وقد جعل اعضاؤه اربعة أصناف : عاملين ومساعدين ونخريين ومراسلين ، وحدد عدد أعضائه العاملين بخمسة عشر عضواً .

وللمجمع (ديوان رئاسة) يتألف من رئيس هو معالي محمد رضا الشبيبي (وزير المعارف الحالي) ونائبي رئيس هما الأستاذان : توفيق وهبي (وزير المعارف السابق) والدكتور هاشم الوتري ، ومن سكرتير هو الدكتور جواد علي (بموجب انتخاب جرى في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧) .

فنهنئ القطر الشقيق بما وفق اليه من انشاء هذا المجمع كما نهنئ اعضاءه الأفاضل بما نالوه من هذه الثقة . ونرجو لهم النجح والتوفيق .

انتخاب عضو عامل جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في ٢٤ أيار سنة ١٩٤٨ معالي الدكتور منير العجلاني عضواً عاملاً مكان المرحوم الأستاذ عبد القادر المبارك . وقد صدر مرسوم تعيينه في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ رقم ١١٨٥

مسألة الوصف بفعلاء

ومسائل أخرى

كنت أهديت الى عضو مجمعنا المستشرق الكبير الأستاذ كرنكو (أو سالم الكرنكوي) نسخة من كتابي (الاشتقاق والتعريب) (طبعته الأخيرة ذات الملاحق) فجاءني منه جواب ضمنه أبحاثاً ذات شأن، وقد أحببت نشره في مجلتنا هذه ثم التعليق عليه موافاةً لرغبة الزميل المحترم وهذه هي صورة كتابه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني منذ أكثر من اسبوع كتاب (الاشتقاق والتعريب) تأليفكم هدية فأشكركم من صميم قلبي على همتكم العالية وما كنت أجيبكم حتى قرأت تأليفكم من اوله الى آخره . فأستحسن ترتيبكم المسائل المختلفة المتعلقة في هذا التفتيش[1] فأقول أولاً انه ليس على وجه الأرض لغة اكثر مأخذاً عن اللغات الأجنبية من الانكليزية لولا الهندية المسماة (أردو) إذ الهندية أخذت من كل أوب حتى المضحكات اما الاشتقاق فكانت لغة أهل اليمن قبل الميلاد تختلف كثيراً عن اللغة التي نعرفها من القرآن الشريف واشعار شعراء الجاهلية . ثم تغيرت هذه اللغة من قرن الى قرن حتى نجد في النقوش الحجرية زمان المبعث توافق أو كادت توافق لغة العرب في شمال الجزيرة وشبيه لهذا كانت لغة موجودة في النقوش في الشمال فان النبطية في أقدم النقوش كانت آرامية ومع الدهور تغيرت حتى نجد النبطية صارت عربية تدريجاً .

ولا أشك (وهذا رأيي الخاص) انه كان في القرن الأول الاسلامي اختلاف غير يسير بين لغتي قحطان وعدنان . ومن ذلك تلفظ حرف الجيم فان القحطانيين لفظوه مثل الحميريين اليوم وبالعكس العدنانيون تكلموا مثل اهل العراق والشام اليوم والله أعلم .

---

(١) أراد بالتفتيش ما نريده بقولنا (البحث) وهما بمعنىً واحد في اللغة لكنّ استعمال (البحث) أليق وأحسن وقعاً في الآذان .

كانت العرب قبل المبعث تأخذ من الفرس اكثر من الروم إذ الوفود الى ملوك الحيرة كانت اكثر من وفودهم الى ملوك غسان في الشام واما اللغة الفارسية القديمة فقد اختلفت من اللغة التي نجدها في أشعار اقدم شعراء الفرس : مثلاً الهاء في آخر كلمات كثيرة كانت كافاً الى نحو وسط القرن الثاني للهجرة ولهذا نجد في المعربات تارة الكاف والقاف وأيضاً الجيم والسبب في هذه الجيم تغير تلفظ هذا الحرف مع الزمان .

أما تدوين الألفاظ المعربة والدخيلة (وانا اجنبي ضعيف) فرأيي ان تدوّن بلا شك كل كلمة دخلت قديماً ولكن لا تدون الفاظ مثل بوسته بيونو الخ الفاظ مأخوذة من اللغات الفرنجية الحديثة ولكن هذا عمل المجامع : المجمع العلمي العربي والمجمع المصري .

أما الأساليب الأجنبية المدخلة في المجلات والقصص فشيء آخر فكانت عندي انا الذي كنت أدرس الآداب القديمة الى وقت سقوط بغداد ـ غريبة جداً . ورأيي ان هذه الأساليب ليست من عبقرية اللغة العربية ولكن اللغات كلها تنمو وتتغير من دهر الى دهر بما تستعملها العامة وليس للعلماء القدرة ليوقفوا ما اعتقدوا انه يفسد اللغة الفصيحة وشاهد لهذا الكتب العديدة المؤلفة في خطأ العوام

لو كنت اريد ان اذكر المحاسن كلها لكتابكم لكتبت ورقات ولكن اذكر ان في ما أعلم اول من اعتنى بذكر المعرب جملة هو ابو بكر ابن دريد في الجمهرة ثم وجدت ان ابن الجواليقي في معرّبه لخص ما أورد ابن دريد وزاد حسب بحثي كلمة واحدة . ذكر ذلك أيضاً الأستاذ عبد الستار الصدّيقي أحد علماء الهند في رسالة طرحها منذ سنين لنيل درجة الدكتورية في ألمانية وقد استقصيتم في كتابكم كل ما يتعلق بهذا الأسلوب فأشكركم لعملكم الصالح رجاء ان تفيد به مؤلفي المستقبل .

تبقى لي مسألتان كنت أتفكر فيها لعلكم تتفضلون بالجواب في مجلة المجمع

العلمي . اولهما اني أرى المؤلفين بلا استثناء يكتبون اللغة الفصحى مكان اللغة الفصيحة وبعد البحث لم أجد المؤنث فصحى في اللسان ولا في غيره من معاجم اللغة

والثانية استعمال المؤنث مكان الجمع وهو فاش في مصر والشام والعراق وليس في المغرب : أمثال :

محمود تيمور ما تراه العيون ص ٣٨ وهو يعدو بين المروج الخضراء ..

محمود تيمور رجب افندي ص ٢٥ بعض اشباح بيضاء

محمد طاهر لاشين حواء بلا آدم ص ٧٨ كانت القوائم سوداء ثم ابيضت

محمد امين حسونه الورد الأبيض ص ٥٦ في ملابسهم المفضضة البيضاء

عبد الرزاق الحسيني تاريخ البلدان العراقية الطبعة الثانية ص ٤٥ والمروج الخضراء

ويكثر هذا جداً ولولا اني مريض لأوردت شواهد كثيرة . ولعلكم تتفضلون بايضاح هذا الاصطلاح .

وفي الختام رأيت وهماً عجيباً في كتابكم عند إيراد بيت لأبي دؤاد الأيادي الجاهلي ص ٥٩ وانما يصف بهذا البيت فرساً فالشوهاء الفرس الواسعة الفم وقد كثر انشاد هذا البيت وله شرح في كتاب الاقتضاب طبعة بيروت ص ٣٢٦ وأيضاً في لسان العرب ٣٧٨/١٠ و ٤٠٣/١٧ و ٣١٦/١٥ وفي كتاب الخيل لأبي عبيدة وفي غير ذلك من المصادر .

وفي الختام أكرر جزيل شكري . سالم الكرنكوي

هذا هو كتاب العلامة كرنكو بنصه وأعلق عليه مجاوباً له بما يلي :

أشكر لكم ملاحظتكم على بيت ابي دؤاد :

(وهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضلّ فيه الشكيم)

وقد جاء الوهم فيه من جهة الظن أن كلمة (شوهاء) جاءت من تشويه الخلقة الذي لا يوصف به عادة الا الانسان . اما هو في الخيل فبمعنى سعة الفم ، وفي هذا المعنى ورد قول الإيادي في بيته المذكور .

وقولهم (الفُصحى) في وصف (اللغة) صحيح بمقتضى قاعدة تأنيث (أفعل) على (فُعْلى) نحو افضل وفُضلى ، وأمثل ومُثلى ، وأكبر وكُبرى ، وكذا أفصح وفُصحى ، فتكون فصحى تأنيثاً لأفصح لا لفصيح الذي يقال في تأنيثه فصيحة بالتاء . وانما لم تذكر المعاجم صيغة (فصحى) للعلم بأنها من متناولات القاعدة المذكورة وقد استعمل العلماء صيغة فصحى في كلامهم : ففي شرح الألفية لابن عقيل عند قول ابن مالك :

(وتلو أَلْ طبقٌ وما لمعرفة أُضيفَ ذو وجهين عن ذي معرفة)

فقد فصل الشارح القولَ في حكم أفعل التفضيل المضاف الى معرفة ، وانه تجوز فيه المطابقة لما قبله وعدمها ، وان المطابقة أفصح ، ثم قال ما نصه : (ولهذا عيب على (ثعلب) صاحب الفصيح قوله : فاخترنا أفصحهن (أي أفصحَ لغات العرب) قالوا : وكان ينبغي أن يأتي بالفُصحى فيقول فُصحاهن اهـ) .

فهذا نصٌّ صريح في جواز استعمال وصف (الفُصحى) مؤنث الأفصح في وصف (اللغة) وقد نطق به أشهر نحوي في المتأخرين .

أما قولكم (والمسألة الثانية استعمال المؤنث مكان الجمع الخ) فتريدون أن تقولوا : (إن استعمال (فَعْلاء) المؤنث وصفاً للجمع مكان فُعْل الخ) فكتّاب مصر والشام والعراق يستعملون المفرد (فَعْلاء) مكان الجمع (فُعل) مذ يقولون مثلاً (المروج الخَضْراء) مكان (المروج الخُضْر) .

وهذه المسألة اللغوية تستحق ان تلقب بمسألة المسائل لكثرة ما تناظر فيها علماء اللغة والأدب وقد كنتم أنتم أول من نبَّه المرحوم الأب (انستاس الكرملي) الى الصواب فيها . فانتبه اليها ثم تبنّاها : فجعل يجادلهم ويجادلونه . ويجالدهم ويجالدونه . حتى قام الزميل الأستاذ مصطفى جواد فنقض على (الأب) دعواه بأنه أول من نبه الى هذا الغلط ورد الحق الى صاحبه .

وقد طال الجدل - كما اشرنا - بين (الأب) وبين علماء اللغة في الأقطار العربية . وتعرّض لها المجمعان مجمع دمشق ومجمع مصر في غير ما مرّة . وفي

آخر جلسات مؤتمر المجمع المصري لعام ١٩٤٨ م ألقى الأستاذ (محمد الخضر حسين) بحثاً (أو تفتيشاً على حد تعبيركم) خاصاً بهذه المسألة (مسألة جواز وصف الجمع بفعلاء وعدم جوازه) . وفي آخر الأمر صرّح الأكثرون بجواز هذا الاستعمال . وذلك لقيام الشواهد المعتبرة عليه وان كانت قليلة نادرة . وهذه القلة جعلته غير فصيح ويكون الفصيح استعمال القرآن الكريم : فهو لا يصف الجمع الا بفُعْل الجمع لا بفعلاء المفرد فقد قال تعالى غرابيب سُود ولم يقل غرابيب سوداء فمسألة الوصف بفَعْلاء إذن أصبحت في حكم المنتهية إن شاء الله .

المغربي

بين اللغة والنحو (١)

لديّ بحثان في موضوعين لغويين نحويين يتجهان في طريقة إخراجهما اتجاهاً فيه تشابه ، وفيه تعاكس : احدهما عنوانه (توهم الأصالة) اي توهم أصالة الحرف الزائد في بعض كلمات من اللغة خولف فيهـا القياس . والبحث الآخر عنوانه (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الحرف الأصلي في بعض كلماتٍ من اللغة خولف فيها القياس أيضاً . وقد بُني على كلٍ من التوهمين حكم . أما البحث الأول أعني (توهم الأصالة) فقد نبهني اليه خبرٌ رواه صاحب الأغاني عن عُمارة بن عقيل من شعراء البادية في القرن الثالث للهجرة :

كان عمارة هذا ممن يطرأ على الحضر فتؤخذ عنه اللغة : سمعه ابو حاتم السجستاني يوماً يقول في شعرٍ له (الأرياح) بالياء في جمع ريح فقال له ابو حاتم : هذا لا يجوز انما هو الأرواح بالواو فقال عمارة معتذراً لقد جذبني اليها (اي الى أرياح) طبعي : أما تسمعهم يقولون (رياح) . فأجابه ابو حاتم نعم ! ولكن هذا شيء وذاك شيء آخر . اقول : والتفرقة بين الشيئين معروف لديكم فلا حاجة الى تفصيله .

(١) كلمة ألقاها الشيخ عبد القادر المغربي في احدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي المصري .

فعمارة توهم أصالة الياء في (ريح) أي ظنها أصلية لا منقلبة عن واو فقال في جمعها أرياح والقياس أرواح ·

وقد استملحت ما جاء في هذه الرواية من خبر هذا الأعرابي القح ، فرأيت ان افترصها واستنبط منها قاعدة لغوية عامة اسميها قاعدة (توهم الأصالة) أخرّج عليها ما ذكره علماء اللغة في تأويل بعض الكلمات المخالفة للقياس في صيغتها ، وأضيف الى كلماتهم التي ظفرت بها كلماتٍ أخري من بابتها كنت أهتدي اليها من وقت الى آخر · وأجعل كل ذلك مقيساً بموجب قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) ·

وعلماء اللغة ـ وان كانوا أنكروا على عُمارة قوله (أرياح) ولم يَرْضَوْا منه اعتذارَه بانجذاب طبعه اليها ـ فانهم عادوا هم أنفسهم فقدَّرُوا توهمه وانجذابَ طبعه قدرهما ، وجعلو يعللون ما خالف القياس من الكلمات بما اعتذر هو به : أعني بتوهم أصالة الحرف الزائد · حتى إنهم سوّغوا أرياح في جمع ريح وعلّلوه بالتوهم وقاسوا عليه (أعياد) في جمع (عيد) وان كان القياس ان يقال (أعواد) بالواو لأن اصل (عيد) عِوْد ، لكن العرب توهموا أصالة الياء فيها اي في (عيد) فجمعوها على اعياد · وهو عذر عمارة نفسه في قوله (أرياح) ·

وها كم مثالاً آخر مما خرجوه على قاعدة التوهم : قولهم (تمنطق) فعلاً مشتقاً من كلمة (مِنطقة) ومعنى تمنطق شد المنطقة على وسطه · وكان القياس أن يقال تنطّق من دون ميم ، لكنهم توهموا أصالة (الميم) الزائدة في منطقة وانجذب طبعهم الى إقحامها (اي الميم) في صيغة الفعل ، فقالوا (تمنطق) على نحو صنيع عمارة بن عقيل في توهمه وانجذاب طبعه في أرياح ·

ولا يخفى ان هذا التوهم لا يؤخذ به في تعليل كل كلمة خالفت القياس ويكون فيها حرف زائد وانما يؤخذ به في بعض الكلمات مما يكثر دورانه

على الألسنة ، بحيث يُخيّل الى الناطقين به انه اسم جامد : ككلمات ريح وعيد ومنطقة وغيرها مما ذكرته المعاجم ، عدا ما لممته أنا من هنا وهناك حتى بلغ مجموعه اكثر من خمسين كلمة ، وهو مقدار كافٍ في اعتقادي لتُبنى عليه قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) .

وآخرُ تلك الكلمات ما سمعته هنا (أي في مصر) مما ينتظمه بحثي هذا ويدخل في موضوعه قولُ بعض الكتاب (تَمجْمَعَ وتمجمعوا) يريد انتُخب وانتُخبوا اعضاء للمجمع . وقول أديبة مشهورة (مُصَيْف) في تصغير من اسمه (مصطفى) ـ كل ذلك من توهمهم أصالة (الميم) في كلمتي (مجمع) و (مصطفى) وانجذاب طبعهم الى إدخالها في صيغة فعليها على غير القياس والقياس (تجمّع) و (صُفَيّ)

وعلماء اللغة لم يأتوا في تعليل مخالفة القياس في هذه الكلمات بأكثر من قولهم (توهم أصالة الحرف) من دون ان يُشيروا الى ان هذا التوهم قاعدة يصح القياس عليها . أما أنا فقد اقتحمت العقبة وجعلتها قاعدةً مقيسة لكثرة الكلمات التي ظفرت بها كما أشرت آنفاً .

وسأفرد لهذا البحث بحث (توهم أصالة الحرف) مقالاً أسهب فيه الشرح وسرد الكلمات التي قلت إنني ظفرت بها ، وأتلوه عليكم في احدى جلسات المجمع من عام قابل ، إن كان في العمر بقية .

أما حديثي في هذه الجلسة فهو في الموضوع الآخر ، المشابه للبحث الأول من جهة ، والمعاكس له من جهة أخرى ، كما أشرت اليه في صدر المقال . وقد سميته (توهم الزيادة) أي زيادة الحرف الأصلي في الكلمة ، بحيث يسوّغ لنا هذا التوهم استعمال تلك الكلمة وان كانت مخالفة للقياس في صيغتها .

وقد نشأت لديّ الفكرة في هذا البحث (أعني بحث توهم الزيادة) من عهد قريب ، ولذا لم يعلق بكفي من شواهدها الا كلمتان وثالثة أخرى .

(الكلمة الأولى)

قول العرب (أشياء) في جمع شيء . والإشكال في هذا الجمع أنهم منعوه من الصرف مع ان صيغته وهي صيغة (أفعال) ليست من صيغ الجموع التي اعتبروها علةً مانعةً من الصرف : فالخليل وسيبويه قالا في تعليل (أشياء) من الصرف إنّ اصلها (شيئاء) وان الألف والهمزة في آخرها للتأنيث وانها (أي شيئاء) جمع لشيء كما أن قَصْبَاء الممنوع من الصرف جمع لقَصَب . لكنهم (أي العرب) قلبوا أو يقال قدّموا همزة شيئاء الأولى وقالوا أشياء فبقي أشياء على رغم هذا القلب ممنوعاً من الصرف : لا بعلة أنه جمع بل بعلة ما في آخره من ألف التأنيث الممدودة .

وقال الأخفش والفراء مثل قول الخليل وسيبويه من أن أشياء ممنوع من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخره ، لكنهما خرّجا (أشياء) ـ ليصح منعهُ من الصرف ـ تخريجاً آخر فقالا : إن وزنه ليس فعْلاء كقصباء كما قال الخليل وسيبويه . وانما وزنه (أفعِلاء) كأَنْصِباء في جمع نَصيب : فأشياء اذن أصلها أشْيِئاء حذفت همزتها الوسطى فأصبحت أشياء وبقيت ممنوعة من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخرها .

وفي كلا القولين تعسّف . وفي تخريجهما إبعاد وتكلّف . وكأنّ الكسائي رحمه الله لاحظ هذا منهما فرأى رأياً في منع صرف (أشياء) فيه تقريب ، وفيه تسهيل ، وفيه مكافحة الواقع وجهاً لوجه من دون مراوغة . غير أن قوله جاء مدمجاً رأيت تبسيطه على هذه الصورة :

إنّ وزن أشياء (أفعال) لا (شيئاء) ولا (أشْيِئاء) وهو (اي أشياء) جمع لشيء كما أن أفياء جمع لفيء . وأفياء مصروف لأن همزته الأخيرة أصلية لا زائدة للتأنيث . فيكون أشياء مثله (أي مثل أفياء) مصروفاً . لكنهم منعوه من الصرف لأمرين :

(الأمر الأول) كثرة استعماله وتكرره في كلام الناس فمنعوه ابتغاء التخفيف و (الأمر الثاني) مشابهته (اي مشابهة أشياء) لحمراء ·

هذا ما قاله الكسائي وقد أصاب لعمري · ولا افهم من قوله (مشابهة أشياء لحمراء) الا أن العرب أُلبِّس عليهم أمر همزة أشياء الأخيرة فتوهَّموها زائدة كزيادة همزة حمراء ، ولا سيما أن قبلها ألفاً كألف حمراء · وحمراء ممنوعة من الصرف فتكون (أشياء) مثلها ممنوعة ·

وهذا ما جعلني أقول إن منع أشياء من الصرف إنما وقع بناء على توهم الزيادة أي زيادة همزتها الأخيرة والا فهي أصلية محضة كهمزة أفياء ·

وبهذه الطريقة نكون قد وقعنا على قاعده جديدة في اللغة أو في النحو فيها لين ، وفيها سهولة ، وفيها تخفيف ورحمة ، واسميها (قاعدة توهم الزيادة) بحيث يصح لنا أن نخرِّج عليها بعض الألفاظ التي خولف فيها القياس ·

هؤلاء علماء اللغة رضوا لأنفسهم ان يقولوا تمنطق بناء على توهم اصالة الميم في (منطقة) فلماذا لا نرضى لأنفسنا أن نقول ان منع صرف (أشياء) كان بناء على توهم زيادة الهمزة في آخرها استئناساً بقول الكسائي ، ثم نتخذ من قوله مستنداً لرأينا ؟

(الكلمة الثانية)

والكلمة الثانية المضروبة على غرار (أشياء) في كون منعها من الصرف مبنياً على القاعدة التي سميتها (توهم الزيادة) ـ قولهم (بُرَاء) على وزن (غُراب) في جمع (بريئ) ·

وبديهي ان الهمزة في آخر (بريئ) أصلية لانه وصف من البُرْء فيكون (بُراء) الذي هو احد جموع (بريئ) منوناً مصروفاً لا ممنوعاً من الصرف لعدم وجود علة المنع فيه ، لكن قوماً منعوا (بُراء) من الصرف لأنهم استبعدوا ان تكون جمعاً لبريئ ما لم يكن أصلها (بُرَءَاء) بهمزتين بينهما

ألف مد : الهمزة الأولى اصلية ، والثانية لإفادة الجمعية والتأنيث . فبُرَءاء اذن جمع مضروب على غرار فُقهاء في جمع فقيه وكُرماء في جمع كريم ونحوهما . وهذه الجموع ممنوعة من الصرف لمكان الف التأنيث فتكون (بُرَءاء) ايضاً ممنوعة . غير انها (اي بُرَءاء) لم تبق على حالها وانما تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى واصبحت (بُراء) على وزن غراب . وبقيت بعد هذا الحذف ممنوعةً من الصرف كأصلها الذي هو (بُرَءاء) .

وفي هذا التخريج لمنع الصرف تعسّف صارخ كما لا يخفى . والأحجى بالقبول ان نخرّج منع (بُراء) من الصرف - عند من يقول به - على قاعدة (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الهمزة التي في آخرها لافادة التأنيث ، وبسببها منعت من الصرف ، وان كانت الهمزة في الواقع ونفس الأمر اصلية كاصالة همزة أشياء

ومحصل القول ان علماء اللغة خرّجوا بعض الصيغ الشاذة على قاعدة (توهم الاصالة) كجمع أرياح وفعل تمنطق وانا خرجت هذين الجمعين (أشياء) و (بُراء) الممنوعين من الصرف على قاعدة سميتها (توهم الزيادة) محاكاةً لتسمية القاعدة الأولى .

واذ قد تقرر في علم الأصول أنه لا بد في الاجتهاد الديني من سنَد مأثور يَستند اليه المجتهد فقد جعلتُ مستندي في إثبات قاعدة (توهم الزيادة) قولَ الإمام الكسائي في تعليل منع صرف (أشياء) : (إنها أشبهت حمراء) وهذه المشابهة جرّت الى الاشتباه . والاشتباه والتوهم أخوان رضيعا لبان .

وغرضي مما عرضته ان يكون لدينا قرار من المجمع في أن منع الصرف في (أشياء) و (بُراء) انما جرى على توهم زيادة الهمزة فيهما فمُنعا ، وهذا القرار يؤدي بالطبع الى شيء من تيسير قواعد اللغة العربية أو تيسير (عملية) الاعراب على الأقل : فبدل ان يقول الطالب في إعراب قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياءَ) ان أشياء ممنوعة من الصرف لمكان الهمزة الزائدة في آخرها وهو قول كذب حنبريت - يقول الطالب إن (اشياء) ممنوعة من الصرف لتوهم زيادة همزتها

الأخيرة . وهذا التوهم حق لا ريب فيه : بدليل منعها (أي منع أشياء) من الصرف . ويسهل حينئذ تغيير الضابط المشهور من قولهم (موانع الصرف تسع كلما اجتمعت) إلى قولنا (موانع الصرف عشر) .

(الكلمة الثالثة)

ويمكنني أن أعد من أمثلة (قاعدة توهم الزيادة) كلمةً جرى (توهم الزيادة) فيها على نمط آخر غير ما جرى عليه في (اشياء) و (بُراء) وهي كلمة (أملاك) جمعاً لملك مراداً به واحد ملائكة السماء فان القول المشهور في تصريف (مَلَك) ان اصله (مألك) مشتقاً من (الألوك) بمعنى الرسالة . والفعل منه (ألَكَه) اذا أبلغه الرسالة . فحدث في (مألك) قلب (أي تقديم وتأخير) وقيل ملأك ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً فقيل (مَلَك) ، ويجوز إبقاء الهمزة مع تسهيلها ألفاً : فيقال (مَلاَك) . وقد غلب هذا التسهيل في اللهجة النصرانية : مَلاَك الرب ويا ملاكي . كما غلب حذف الهمزة في اللهجة الاسلامية وفي القرآن (إنْ هذا إلاّ مَلَك كريم) .

ثم ان مَلْأَك وملاك يجمعان على ملائكة وهو القياس أما مَلَك المستعملة في اللهجة الاسلامية فتجمع أيضاً على ملائكة باعتبار ان الجموع ترد الأشياء الى أصولها : إذ أن أصل مَلَك مَلْأَك كما مر . لكن العرب كما جمعوا مَلَك على ملائكة جمعوه أيضاً على (أملاك) . وجمعه على أملاك ليس قياساً لأن القياس ان تَرُدّ الجموعُ الأشياءَ الى أصولها ، واذا رُد ملك الى أصله حين إرادة جمعه قيل ملأك ويكون جمعه ملائكة لا أملاك .

فكيف جمع على أملاك اذن ؟ جُمع على أملاك بناءً على ان العرب توهموا الهمزة في ملأك زائدة لا أصلية وان ميم (ملك) ولامها وكافها هي كل حروفها . وما كان على وزن فَعَل صحيح الحروف يجمع على أفعال كفرس على أفراس ، وفلك على أفلاك . وهكذا جُمع (مَلَك) على أملاك ، بناءً على توهم زيادة

الهمزة في (مَلْأَك) ولولا هذا التوهم لوجب أن يقال في جمعه ملائكة أما الآن فله (أي لَمَلَك) جمعان جمع جاء على الأصل المقيس وهو (ملائكة) وجمع غير مقيس وقد جاء على توهم زيادة الهمزة وهو (أملاك) .

وما لي لا أقول إن جمع مَلَك على أملاك فيه عمل بالقاعدتين (قاعدة توهم الزيادة) بالنسبة الى زيادة الهمزة كما قلنا و (قاعدة توهم الاصالة) أيضاً بالنسبة الى ميم (ملك) فان الميم زائدة فيه كما مر من ان اصل المادة (ألك) ، فكان القياس ان يقال مثلاً في جمع ملك (ألائك) بحذف الميم بناء على ان الجمع يرد الأشياء الى أصولها ، لكنهم لم يقولوه وانما قالوا في جمع (ملك) املاك متوهمين ان الميم فيه أصلية فأقحموها في الجمع . وهذا أي اجتماع قاعدتي التوهم في لفظ واحد ثلاثيّ من لطائف الاتفاق .

المغربي

إنسان العيون — ابن أبي عذيبة

جواباً على تعليق الدكتور مصطفى جواد

كنت قابلت إنسان العيون بابن أبي عذيبة فتبين أنه عينه . وهذا واضح لا لبس فيه ، صريح يفهمه كلّ أحد ، وذكرت ذلك سنة ١٩٣٩ م في تاريخ العراق (ج ٣ ص ١٤١ ـ ١٤٢) كما أشرت في مقالي الأخير ، فأيّ دليل أقدّمه غير مقابلة النسخ ؟ ولم أجبر أحداً أن يقبل ذلك ، وإنما يهمني أنني ذكرت ما اعتقدت صحته ، أو أنه الصواب ، وبينت أن كلّ أحد يؤخذ من قوله ويردّ . والاشتباه له حدود ، فأبدى الدكتور مصطفى جواد شبهة ، ولا كشبهة ابن كمونة ، ولم يعين سبباً سوى ما ذكر من أنه طالب معرفة في حين أنني قد سبق أن أخبرته بذلك .

يوضح هذا أن الدكتور كان — كما قال — اتصل بإنسان العيون من سنة ١٩٣٤ م . ولما نشرت التاريخ راجعني في نصه مستوضحاً ، وكان آنئذ في باريس

في التحصيل . فبينت له أن الأستاذ الكرملي كان قد نقل النسخة المصورة الى خط آخر ، وسألني عن مؤلفها فتصفحتها ، وكنت آنئذ قريب العهد بمطالعة كتاب ابن أبي عذبية ، فرأيت فيه أمراً لا يهمل وهو قوله (وممن توفي في خلافته) وجهات أخرى كانت قد علقت في الذهن من مادة الكتاب ، فقلت له : هذا تاريخ ابن ابي عذبية ، وطلبت أن أقابله بنسختي لأتأكد ، فأعطاني الكتاب ، وبعد المقابلة وجدته عينه ، وأخبرته بذلك ، فكان الباعث للتدوين في تاريخ العراق ، وبسطت للدكتور ما جرى .

وفي هذه المرة أعاد (الشبهة) استدلالاً من أنني قابلت نحو عشرين صفحة فلم أجد إلاّ بعض الكلمات شذّت عن النظر ، أو غابت عن الكاتب الناسخ ، وترجمة صغيرة قد طويت وبينتُ له السبب في أن الاسم متفق في تلك الترجمة واسم الأب كذلك ، فزاغ بصر الناسخ منها الى الترجمة التالية . وهكذا في مقابلتي هذه المرّة قد عينت ما فات ، ودوّنته في نسختي ، وذكرت الاختلاف بين النسختين ، وهو لا يذكر في مقابلات الكتب مع أنه مجلد ضخم ، وأن (كتاب المستجاد) قد ظهر في بعض نسخه ما لم يوجد في الأخرى ، وكذا في كتب عديدة قد يضاف اليها اضافات . والزيادة والنقص مشهودان . والتحوير في الكلمات لا يحصى . في حين أنه طبعت كتب مرّت من الطابع والمصحح . فظهرت فيها أغلاط كما تشهد جداول الخطأ والصواب . (فالعينية التامة) — كما اشترط الدكتور — غير ملتزمة حتى فيما طبعه نفسه من الكتب .

والمهمّ في هذه الحالة أن كتاب إنسان العيون عين تاريخ ابن أبي عذبية في المقابلة واطراد المباحث وتواليها يبدأ بما يقابل أواخر المجلد الرابع من ابن أبي عذبية ، وينتهي في أوائل المجلد الخامس منه حتى يتم ويستمر ابن أبي عذبية في طريقه وباطراده الى آخر المجلد فينتهي الكتاب فهو داخل في كتاب ابن أبي عذبية . فكيف يقال انه غيره ؟ فاذا نسي الناسخ بيتاً أو كلمة ،

أو فاتته ترجمة أو اكثر في إحدى النسختين فهل يصح أن يعدّ غيره ؟ واذا كان هذا غير مستحيل فهل وجد الدكتور كتاباً منسوباً لآخر معروفاً بالاسم والصفة وقد أخذ منه ابن أبي عذيبة ليصرف الانظار اليه ؟ أو ان هناك كتاباً آخر أخذ من ابن أبي عذيبة منسوباً لمؤلف آخر معلوم ؟

لم يتحقق شيء من ذلك للدكتور الى الآن . وكيف يطعن ولا دليل لديه يدعم الغيرية ، وقد ظهرت ادلة الصحة بالمقابلة ، وان المخالفات التافهة من نتائج الاستنساخ لا تدعونا الى الاعتقاد بالمباينة وإلاّ صحّ لنا الاشتباه بكل مؤلف ، ولم نجد حينئذ ضرورة لالتماس النسخ للمقابلة ، ولا للأخذ بأكمل نسخة واصحها ، أو للانتفاع من هذه المقابلة ، لا سيما وقد قام الدليل وتبين أن إنسان العيون داخل ضمن تاريخ ابن أبي عذيبة المكتوب بخط كاتب واحد ، ولا شائبة فيه تدعو للشبهة . وكان الدكتور في بغداد موظفاً في دار الآثار ، وكان بوسعه أن يطلب مني المقابلة ، فلم يفعل مع أن النسخة المصورة نقلت من خزانة المعارف الى دار الآثار .

ومن الجهة الأخرى أن الدكتور لم يبد شيئاً عن مؤلف صاحب (إنسان العيون) لقول بالأخذ منه مع أن صاحب كتاب (الفشر في التاريخ) متأخر ، ولكنه ظن أولاً أنه مؤلف إنسان العيون كما كتب الى الأستاذ الكرملي بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٩٣٧ م[١] ، ثم عدل عن هذا الرأي في هذه المرة ، وقال إن الوصف الذي ذكره السخاوي غير متحقق ، والشرط لم يكن متعيناً .

أعدت المقابلة على نسخة الآثار فلم يظهر خلاف او اشتباه يجعل النسختين متغايرتين بل تبين أن القصيدة التي أشار اليها الدكتور مذكورة في الأجزاء كلها حتى في إنسان العيون الا أن خلافة الناصر استغرقت ذكر وفيات كثيرين

(١) أشار الأستاذ الكرملي في أول المصوّرة الى ذلك بخطه .

لطولها فلم ينتبه اليها الدكتور ، ولو كان قد طالع الكتاب حقيقة لرآها فقد جاء قسم من القصيدة في صفحة ٤٠٣ من كتاب إنسان العيون وتبدأ بقوله :

ثم أتى مصر بنو أيوبا فآلفوا عليهم القلوبا
وقام من فيها لهم بالنصر وأهلك العاضد وسط القصر

الى آخر ما هنالك . ثم ذكر أحوال بني أيوب موافقاً لما في تاريخ ابن ابي عذيبة كما انه جاء فيه التصريح باسم ابن أبي عذيبة (كذا) في الصفحة ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٣٨ من الأصل المصور لإنسان العيون .

هذا . وان تاريخ ابن أبي عذيبة استمر لما بعد إنسان العيون وذكر من القصيدة قسماً في مبحث هولاكو ، وقسماً آخر في بني تومرت ... ولم يكن من شرط المؤلف أن يكرر اسمه ، أو تذكر مؤلفاته في كل صفحة ، أو في كل جزء من أجزاء كتابه كما ذكر الدكتور مع أن اجزاء ابن ابي عذيبة في كل واحد منها قد ورد اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وأما مؤلفات ابن ابي عذيبة فانما تذكر لمناسبات عارضة يقتضيها البحث ، فلا يتعرض لها المؤلفون بلا مناسبة .

وهنا مسألة جديرة بالالتفات وهي أنه اذا كان ابن ابي عذيبة أخذ تأليف غيره عيناً وأدرجه في كتابه كما هو الشأن في بعض المؤلفين فهذا الأمر موكول اليه ، وهو المسؤول عنه والمؤاخذ من أجله . وان الدكتور لم يظفر بشيء من ذلك . فان اليقين لا يزول بالشك ، كما لا عبرة بالتوهم البين بطلانه . ولو تحقق له شيء من ذلك فحينئذ يتوجه اللوم على المؤلف . لأني رأيته موافقاً لإنسان العيون وهذا داخل فيه ، او ان يوجه الدكتور اللائمة على المتأخر منهما فيما اذا كان قد فعل هذه الفعلة ، ولكن لم يتبين للدكتور ذلك .

هذا . ولا يهمني باقي ما ذكره من مدح نفسه في أنه له إلمام بنعوت إنسان العيون ، وأنه تقدم على غيره في المعرفة لهذا الكتاب ، في حين أن الأستاذ المرحوم احمد تيمور باشا قد عرفه قبل الكل ، وما تفيد الدكتور هذه المعرفة ،

او ما يفخر به من أنه يملك مجموعة كبيرة في (اصول التاريخ والأدب)، يتكتم في ذكر نصوصها، ويبالغ في اخفائها وفي ذكر عدد اوراقها مما يدعو للشبهة اكثر مما تدعو اليه مقابلة كتاب في حين أن الكثير منها يرجع الى اصل مطبوع، معروف لم ينفرد به، وليعذر الدكتور ان الصراحة اولى من هذا التكتم، وارجو ان يكون ظاهره كباطنه كما هو المأمول. وآخر ما اقوله انني لم اسند الفعل (ذُكرتْ) إلى التاء التي هي ضمير ابداً. والله ولي الأمر.

(بغداد) **عباس العزاوي**

أخطاء مطبعيـة

ورد في مقالي (العمراني وتاريخه) المنشور في الجزء الأول من (المجلد الثالث والعشرين) بعض اخطاء مطبعية تصحح كما يلي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩	٢١	السنجاوي	السخاوي
٥٠	١	السنجاوي	السخاوي
٥١	١١	بمجنون	بمخبون
٥٢	٧	ابن جنيب	ابن حبيب
٥٣	١٧	ابو اسحن	ابو اسحق
〃	٢١	بدوام	بقدوم
٥٤	١٠	للتهجم	ليهجم
٥٧	١٣	حمر	أحمر
〃	〃	جاء بها	جاء
٦٠	١٥	القضاء	القضاة

حول (دمية القصر) للباخرزي

يُعجَب الباحث عن المخطوطات الإسلامية بما يكتبه الدكتور السيد أسعد طلس عن مكاتب فلسطين وايران وغيرها من المكتبات التي نجهل الكثير من مقتنياتها الثمينة وكنوزها الغالية . وهو بهذا العمل الطيب يدلنا على همة شماء وعزيمة ماضية لا تعرف الكلل ولا الملل أينما حلت وحيثما كانت ، ويستحق الشكر من كل محب للمخطوطات ومشتغل بإحيائها .

ونراه اذ يحدثنا عن مخطوطة من « دمية القصر » للباخرزي في مكتبة المجلس النيابي في طهران يقول في المجلد الثاني والعشرين ص ٣١٣ من هذه المجلة « وهي نسخة حسنة كاملة لا كالتي نشرت في حلب في المطبعة العلمية سنة ١٣٤٨ » . فهو يشير الى أن المطبوعة من هذا الكتاب فيها شيء من النقص بالنظر الى النسخة التي عثر عليها .

ثم نراه يقول في حديثه عن خزانة المدرسة الاسپهسالارية بطهران في المجلد نفسه ص ٥١٤ : « طبع الشيخ راغب الطباخ قطعة صغيرة من الدمية طبعاً مشوهاً في حلب عن نسخة المكتبة الأحمدية الناقصة » . فيخرج من حد البيان والافادة الى سبيل التسميع والتشويه من غير حق ولا داعية ، مما يدل على أن هناك حزازات شخصية بينه وبين ناشر « الدمية » تغلبت عليه في بعض ما كتبه ، وهذا ما نحب أن يربأ عنه حضرة الدكتور في مثل هذه الأبحاث والكتابات المفيدة التي يطالعنا بها بين الحين والحين .

على أن الأستاذ الشيخ راغب الطباخ اعتمد في نشره هذا الكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة : نسخة المكتبة الأحمدية ونسخة المكتبة المارونية بحلب وهي بخط الأديب البارع العلامة يوسف البديعي ، والنسخة الثالثة من مخطوطات الموصل كما ألمع الى هذا في فاتحة النشر . ويندر جداً أن تكون هذه النسخ الثلاث ناقصة أو قطعة صغيرة ـ على حد تعبير الدكتور ـ تتفق من الأول الى الآخر وفي

البدء والختام ، مع اختلافها في التاريخ والموطن . وكلام حضرة الدكتور : « قطعة صغيرة » يفيد أن المطبوعة دون النصف أو الثلث أو هي الى الربع أقرب ! ولقد راجعت « دار الكتب المصرية » فرأيت فيها نسخة مخطوطة من « الدمية » من موقوفات علامة أوانه وأصمعي زمانه الشيخ محمد محمود التلاميد التركزي الشنقيطي الكبير ، وعليها بلاغات المقابلة من أولها الى آخرها وتوافق المطبوعة تمام الموافقة كما تبين لي من المقارنة بينهما .

على أنه إن صح ما يقوله الدكتور فقد تكون النسخة التي وقعت له فيها زيادات ألحقت بأصل المصنف وليست من عمله ، كما وقع في كثير من الكتب ، وهذا لا يجعل المطبوعة ناقصة أو قطعة صغيرة كما يقول الدكتور ، بل هي تامة وكاملة .

(القاهرة) **عبد الفتاح محمد المخزومي**

اعلان عن التنويه الأدبي

« يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة في الثقافة الأدبية العليا للتنويه الأدبي بما يراه المجمع نافعاً في بابه من هذه الكتب دالاً على جهد وابتكار على أن تكون هذه الكتب مما ألف منذ سنة ١٩٤٤ !

وستدرس اللجنة ما يقدم اليها من هذه الكتب أو ما يطلع عليه أعضاء المجمع ، ثم يعقد المجمع في النهاية جلسة علنية للتنويه بخير الكتب وبأصحابها ، وسيعلن عن موعد هذه الجلسة بعد الانتهاء الى قرار » .

غلطة مطبعية

جاء في حاشية الصفحة ٤٤٥ من هذا الجزء : غبطة بطريرك انطاكية وسائر المشرق (للروم الأرثوذكس) وصوابه (للسريان الأرثوذكس) .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء